الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

قسم:اللغة العربية وآدابها

تمظّهر الواقع الاجتماعي في رواية "دمية النار" لبشير مفتي -دراسة سوسيوثقافية تحليلية-

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

تخصص دراسات نقديّة

إعداد الطالبتان:

حدة سيني

شيماء داودي

إشراف الأستاذ:

محمد بوتالي

لجنة المناقشة

-حسين قارة.....رئيسا

- محمد بوتالي.....مشرفا ومقررا

- عبد الرحمان عبد الدايم.....عضوا مناقشا

السنة الجامعية 2018/2017م

بسم الله الرّحمان الرحيم

شكر وعرفان

الحمد والشّكر لله عزّ وجل الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة

وأعاننا على إتمام هذا البحث

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى المشرف محمد بوتالي

على كل ما قدّمه لنا من توجيهات ومعلومات قيّمة ساهمت في

إثراء هذا البحث في كل جوانبه

وكما نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا من

قريب ومن بعيد على انجاز هذا العمل

إهداء

إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله

إلى إخوتي وأخواتي

إلى كل الأصدقاء والزملاء

إلى كل طالب علم

حدة / شيماء

مقدمة

مقدمة

أضحت الرواية من بين أهم الأجناس الأدبية التي ذاع صيتها في الفترة الأخيرة، وقد شهدت من التحول والتطور ما جعلها لوناً أدبياً نثريًا فنياً إبداعياً بالدرجة الأولى، فتطور هذا الجنس الأدبي مع توالي العصور مما أضفى على الكتابات الروائية فنيّة و جماليّة أكثر، حتى أنّه يمكننا أن نقول بأنّ عصرنا الحالي هو عصر الرواية، وذلك لتمكن هذّه الأخيرة من رصد جميع التحولات التّي تشهدها الساحة الأدبية خاصةً والاجتماعية عامةً، فكانت بذلك مزيجاً من تناقضات المجتمع و إبداعات فنيّة أسلوبية من مختلف الأقلام الروائية.

لقد كان للرواية العربية السبق في الظهور عن الرواية الجزائرية، وهذا نتيجة الظروف والتحولات التّي شهدها المجتمع الجزائري، فكان عامل الاستعمار من أهم العوامل التّي أدّت إلى تأخر العديد من الإبداعات وعلى رأسها الرواية، وذلك من خلال محاولة طمس الهوية الوطنية، وبالرغم من أنّ الرواية هي جنس أدبي حديث إلا أنّها سرعان ما تطورت خاصة في فترة السبعينيات. هذه الفترة التّي تعتبر فترة الميلاد الفعلي للرواية الجزائرية حتى أنّه أطلق عليها فترة العصر الذهبي للرواية الجزائرية.

الرّواية الجزائرية هي قالب فنّي يعبر عن أزمات المجتمع وقضاياه وتصوير للواقع الاجتماعي بشكل فنّي وجمالي، فلم تكن الرواية الجزائرية منفصلة عن الأحداث التّي عايشها المجتمع، بل كانت تحتويها، فأرّخت بذلك لمجموعة من التحولات فكانت فترة الخمسينيات فترة البذور الأولى للرواية الجزائرية، ثم مرحلة السبعينيات التّي شهدت الميلاد الفعلي للرواية الجزائرية، ثمّ مرحلة الثمانينيّات والتسعينيّات التّي تعتبر من أصعب الفترات التّي عايشها المجتمع الجزائري وسميت بالأزمة الجزائرية، وهذا نسبة للواقع المأساوي الذّي مر به المجتمع الجزائري في فترة العشريّة السوداء، فتفاعلت معظم الكتابات في تلك الفترة مع ذلك الواقع المرير، وعالجت بذلك الرواية الجزائرية في فترة التسعينيات مختلف التحولات الطارئة على

المجتمع بوصفها الفن الذّي استوعب كل المضامين الاجتماعية، ومن بين الروائيين الذين أرّخوا لهذه الأزمة نجد الروائي "بشير مفتي" الذّي قدم لنا فناً روائياً عكس لنا الواقع ومختلف القضايا التّي ميّزت مرحلة الأزمة.

من هذا المنطلق حددنا عنوان مذكرتنا ألا وهو "الواقع الاجتماعي في رواية دمية النار" للروائي بشير مفتي وفق تحليل سوسيوثقافي الذّي سيظهر لاحقًا من خلال بنية البحث، وقد وقع اختيارنا على هذّه الرواية وذلك لتناسبها مع الموضوع باعتبارها جسّدت لواقع اجتماعي جزائري في مرحلة من مراحله، ومختلف قضاياه.

لقد ساعدتنا هذّه الدراسة في الكشف عن أثر الأوضاع الاجتماعية والسياسية التّي استوحتها الرواية من الواقع، وكان هدفنا من البحث الكشف عن الظروف التّي عاشتها البلاد والتّي صوّرتها لنا الرواية، تصوير واقع الكتابة الروائية خلال فترة الأزمة التي عاشتها الجزائر.

وقبل الشروع في هذا الموضوع طرحنا مجموعة من التساؤلات وهي كالأتي:

- هل استطاع بشير مفتي أنّ ينقل لنا الواقع من خلال رواية دمية النار؟

- كيف تمظهرت مختلف القضايا الاجتماعية في الرواية؟

وللإجابة على هذه الأسئلة قمنا بتقسيم البحث إلى مقدمة وفصلين وخاتمة، حيث طرحنا في المقدمة موضوع البحث ودوافع اختياره وأهميته.

في الفصل الأول الذّي جاء بعنوان الرواية والواقع تناولنا فيه عدّة مفاهيم (الرواية، الواقع، الدراسة السوسيوثقافية) كما عرجنا على أهم المراحل التّي مرّت بها الرواية الجزائرية وكذلك أهم القضايا التّي عالجتها.

أمّا الفصل الثاني فكان بعنوان " الواقع الاجتماعي في رواية دمية النار، فقد خصصناه في البداية للحديث عن السيرة الذاتية للمؤلف مع ملحق لملخص الرواية، ثمّ تطرّقنا إلى القضايا التّي تمظهرت في الرواية بالإضافة إلى رؤية الواقع في الرواية، وفي الخاتمة ذكرنا أهم النتائج التّي توصلنا إليها في البحث.

استعنا في بحثنا على المنهج الاجتماعي، وذلك من خلال البحث عن صورة الواقع في متن الرواية، و اعتمدنا في ذلك على مجموعة من المراجع أهمها الرواية والتحولات في الجزائر، دراسات في الرواية الجزائرية لمصطفى فاسي، نظرية الرواية لعبد الملك مرتاض، الأدب الجزائري الجديد " التجربة والمآل" لجعفر بابوش، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي لمحمد مصايف .

ومن الصعوبات التّي واجهتنا بين الفينة والأخرى، هي تشعب الموضوع وعمقه مما صعّب علينا الإحاطة بالموضوع بكل جوانبه.

في الأخير نشكر المولى عزّوجل على توفيقه في إتمام هذّه المذّكرة، ونشكر المشرف على تتبعه لهذا البحث، وكل من ساعدنا من قريب ومن بعيد، والله ولي التوفيق.

الفصل الأوّل: الرّواية والواقع

1- تحديد المفاهيم.

2- الرواية الجزائرية والواقع.

3- أبرز القضايا المطروحة في الرواية الجزائرية.

1- تحديد المفاهيم :

تعتبر المصطلحات مفاتيح العلوم فهي الأيقونة التّي يمكن من خلالها الولوج إلى المعارف المختلفة وضبطها وفي بداية بحثنا هذا سنتطرق إلى تحديد المصطلحات التالية:

1-1- الواقع

أ - المعنى اللغوي:

الواقع من الفعل وقع يقال " وقع منه الأمر موقعًا حسنًا أو سيئًا، ثبت لديه، والواقعة أو النازلة وهي اسم من أسماء يوم القيامة "[1].

ب - المعنى الاصطلاحي:

الواقع هو الحقيقي والوجودي والكائن أو الحاصل " الواقعة وما حدث ووجد بالفعل وهي مرادفة للحادث والواقعي هو المنسوب إلى الواقع، و يرادفه الوجودي والحقيقي والفعلي ويقابله الخيالي والوهمي، نقول الرجل الواقعي، أي الرجل الذي يرى الأشياء كما هي عليه في الواقع، وكذلك واقعية التفكير على مطابقته للواقع"[2].

الملاحظ من خلال التعريفين السابقين للواقع، أنّهما تعريفين تداخلاَ وتقاطعًا في كون الواقع هو كل ما هو ثابت وحقيقي وحاصل وكائن أي مرادف للوجود.

ارتبط مفهوم الواقع ارتباطا وثيقاً بالمجتمع باعتباره تحصيل حاصل له ومن هنا يمكن لنا أن نستخلص ونحدد مفهوم آخر وهو الواقع الاجتماعي، هذا الأخير الذّي يشير إلى تلك الأبعاد

[1] - ابن منظور، لسان العرب، المجلد06، دار المعارف، ص3895.

[2] - جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية و الفرنسية والإنجليزية واللاتينية، الشركة العالمة للكتاب، مكتبة المدرسة، دار الكتاب العالمي، بيروت، 1994، ص552.

والظروف ومختلف العوامل التّي تتعلق بمجتمع معين أو مجموعة من المجتمعات، التّي تشترك في بعض الخصائص والسمات كأن نقول الواقع الاجتماعي للمرأة في المجتمع العربي.

2-1 الرواية:

أ) - المعنى اللغوي:

يعرف ابن منظور الرواية "من الفعل روى يقال روى فلان فلاناً شعراً اذرواه له حتى حفظه للرواية عنه"[1] أي نقله.

الرواية من الفعل " روى " عرفها عبد المالك مرتاض بأنّ "الأصل في مادة "روى " في اللغة العربية هو جريان الماء، ووجوده بغزارة أو ظهوره تحت أي شكل من الأشكال أو نقله من حال إلى أخرى، ومن أجل ذلك ألفيناهم يطلقون على المزادة الرّاوية، لأنّ النّاس كانوا يرتوون من مائها، ثمّ على البعير الراوية أيضا لأنّه كان ينقل الماء فهو ذو علاقة بهذا الماء، كما أطلقوا على الشخص الذيّ يسقي الماء هو أيضا الراوية"[2].

ب) - المعنى الاصطلاحي:

تعتبر الرواية في عصرنا الحاضر أهم الأنواع الأدبية لما تعالجه من قضايا فكرية واجتماعية فعرّفها بعض النقاد " بأنّها نمط من أنماط الفن القصصي تختلف عن القصة في العديد من عناصرها كالزمان والمكان والشخصيات"[3]، وهي بذلك قالب فني نثري " فالرواية من حيث هي

---

[1]- إبن منظور، لسان العرب، ص 1786

[2]- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، دار العرب للنشر والتوزيع، سنة 1998 ص22.

[3]- مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية، ط1، المؤسسة العربية التوزيع والنشر، بيروت 2003، ص36.

جنس أدبي راقي ذات بنية شديدة التعقيد، متراكبة التشكيل، تتلاحم فيما بينها وتتضافر لتشكل لدى نهاية المطاف شكلاً أدبيًا جميلاً يعتزي إلى هذا الجنس الحظيّ والأدب السري"[1].

فالرواية باعتبارها لون وفن أدبي نثري يصور لنا مجموعة من الأحداث والأفعال والمشاهد المستوحاة من الواقع، فهي بذلك تمثل استجابة لمجموعة من الظروف والمتغيرات التّي يعيشها مجتمع ما، وبهذا يمكننا القول بأنّ الرواية هي ذلك القالب الذّي تتشكل فيه مختلف الرؤى الواقعية.

1– 3 الدراسة السوسيوثقافية:

نلاحظ أن هذا المصطلح يتركب من لفظتين " سوسيو" و "ثقافية" فإذا عدنا إلى تفسير هذا المصطلح نجد أنّه دمج بين حقلين معرفيين هما " السوسيولوجيا " و"الثقافة " فينتج لنا المنهج السوسيوثقافي.

فيعتبر هذا المنهج " منهج سوسيولوجيا الثقافة هو المنهج الذّي يشير بشكل أو بآخر إلى العوامل الاجتماعية والعوامل الثقافية، ونحن هنا لا نحدد ما على منهج ما أن يقوم به عند دراسة هذه الموضوعات إنّما يكفي لهذا المنهج أن يشير إلى العلاقة بين الثقافة من ناحية والمجتمع من ناحية أخرى، وبما أن السوسيولوجيا هي العلم الذّي يبحث في الأبعاد الاجتماعية للحياة الإنسانية، فإّن دراسة الثقافة ضمن حدود السوسيولوجيا تعني البحث في العوامل الاجتماعية والثقافية معًا"[2]. فقد أشار عبد الله الغذامي في كتابه النقد الثقافي إلى هذه الدراسة، ولخصها في كونها مجموعة من الأنساق الثقافية والاجتماعية التي قد تكون مضمرة أو مباشرة في العمل الأدبي.

---

[1]- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص27.

[2]- ديفيد انغليز - جون هيوسون، مدخل إلى السوسيولوجيا الثقافة، تر: لما نصير، المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، ص21.

2- الرواية الجزائرية والواقع:

الرّواية هي أحدث النتاجات الأدبية الإنسانية التّي تعبر عن المجتمع، والواقعية هي من أهم الصفات التّي تميّز هذا الجنس الأدبي، فهي تعبير عن الوقائع المعيشة ونقلها بما تحمله من تفاصيل وأحداث واقعية، والرّواية الجزائرية كان ميلادها نتيجة عدّة ظروف تمحورت جلّها على الوجود الاستعماري في الجزائر، فكانت معظّم الروايات الجزائرية تحوم حول موضوع الثورة، ويمكن تقسيم النتاج الأدبي الجزائري إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى ارتبطت بوجود الاستعمار، والمرحلة الثانية ارتبطت بالاستقلال، أمّا المرحلة الثالثة فيحدّدها الباحثون بأنّها مرحلة الأزمة أو العشريّة السوداء، فكل هذه الأعمال التّي ظهرت في هذه المراحل كانت بمثابة نقل صورة واقعية للمجتمع الجزائري في نسيج لغوي محكم وجنس أدبي فني يسمى الرواية، وهنا تتمخض عدّة إشكالات:

- هل جسّدت هذه الأعمال الفنيّة الواقع الاجتماعي؟

- كيف يمكننا أنّ نربط الواقع بالتاريخ؟

إنّ أول ما يلفت انتباهنا هي المرحلة التّي مرّت بها الرواية الجزائرية والتّي نشرع في تفصيلها.

2-1- مرحلة الاستعمار:

شهد المجتمع الجزائري في هذه المرحلة كل أنواع الظلم والاضطهاد والتعنيف، فعمل الاستعمار على طمس كل المقومات الوطنية وتفتيت المجتمع، فيعّد عامل الاستعمار من بين أهم العوامل التّي أدّت إلى تأخر ظهور الرواية الجزائرية.

"إنّ الوضع السياسي و الاجتماعي في مقدمته الاستعمار الذّي وضع الثقافة القومية في وضع شّل فاعليتها وحركتها نتج عنه تأخر الأدب بالجزائر عامة لا سيما أحدث فنون الرواية الجزائرية، وقد كان اضطهاد اللّغة العربية ومحاولة القضاء عليها من طرف الاستعمار الفرنسي عاملاً أساسيًا في تخلف الأدب"[1].

فالظروف التّي فرضها الاحتلال على الشعب الجزائري لم تسمح بخلق فئة من الكتاب حيث أنّ "الحياة الاجتماعية والسياسيّة التّي كانت تعيشها الجزائر آنذاك حيث لا يملك فرصة للتعبير عن همومه، ولا الحديث عن فضائيات الحياة الثقافية لم تسمح بخلق نماذج روائية نظرا للواقع التعليمي وصعوبة هذا الفن باعتباره أدبًا قائمًا بذاته يحتاج إلى صبر وتأمل وإظهاره كفن له مقوماته وأساليبه الخاصة"[2].

يعّد نص "**غادة أم القرى**" لأحمد رضا حوحو سنة 1947 فاتحة التأريخ لجنس الرواية في الجزائر، حيث عالج فيها الكاتب وضع المرأة في البيئة الحجازية وكذلك محاولة المجيد الشافعي بعنوان "**الطالب المنكوب**" وهي تسرد وقائع طالب جزائري درس بتونس، وأيضا رواية "**الحريق**" لمحمد ديب.

[1]-عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، ط1، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر،1978 ، ص235.

[2]- المرجع نفسه، ص235.

هذه المحاولات كانت تعبيرًا عن مجموعة من الظروف التّي كان يعيشها المجتمع الجزائري في ظل الوجود الاستعماري.

2-2- مرحلة ما بعد الاستقلال:

بعد كل الخراب والدمار الذّي خلفه الاستعمار على جميع المستويات كان من الصعب على المجتمع الجزائري إصلاح كل ذلك الخراب، وكانت مهمة الكاتب والأديب أصعب، فحاول استيعاب كل تلك الظروف والأحداث وترجمها في كتاباته، فكانت رواية " **ريح الجنوب** " لعبد الحميد بن هدوقة أول رواية عربية ملفتة للانتباه وذلك سنة 1971 وهذا نظرًا لذلك الوعي الذّي شهده المجتمع بعد الاستقلال، بالإضافة إلى كتابات الطاهر وطار **(اللّاز، الزلزال)**. هذّه الأعمال الفنيّة جسدت لواقع وظروف وتحولات شهدها المجتمع الجزائري في ذلك الوقت، كل تلك الظروف والوقائع أدّت إلى تحول الرواية الجزائرية، فجاء جيل السبعينيات المتشبع بمختلف الثقافات فظهرت بذلك الرواية المكتوبة باللّغة الفرنسية مثل **ثلاثية** محمد ديب **ونجمة** لكاتب ياسين،" دون أنّ ننسى مولود فرعون وروايته " ابن الفقير " ورشيد بوجدرة الذي ترجمت نصوصه من العربية إلى الفرنسية ومن الفرنسية إلى العربية ومن أهم رواياته " التفكك 1982 "، يوميات امرأة أرق 1995 معركة الزقاق 1986، وغيرها وهي روايات كتبها بالفرنسية قبل أنّ يترجمها الروائي نفسه إلى العربية"[1].

هذه الروايات نقلت صورة الواقع الجزائري إلى الخارج وذلك من خلال إبداع فنّي روائي يوظّف اللّغة الفرنسية كوسيلة تعبير عن ظروف اجتماعية جزائرية، فالرواية المكتوبة بالفرنسية شكلت

[1]- رمضان حمود، عن جعفر بابوش، الأدب الجزائري الجديد، "التجربة والمآل"، منشورات مركز البحث في الأنثربولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر، 2007، ص5.

ظاهرة فنية متميزة " حيث ظهر كتاب وطنيون يؤمنون بحق الشعب ويعيشون واقعه، ويحسون بالمشاكل التي كان يعانيها من جراء الاستعمار، لم يجدوا وسيلة للتعبير عن هذا الواقع الاجتماعي سوى اللّغة الفرنسية التي تعلموها"[1].

2-3 مرحلة الأزمة (العشرية السوداء):

لقد كانت الرواية أداة نقل الواقع الاجتماعي الذّي انعكس في كتابات العديد من الأدباء " فالواقع الإنساني بهذا الاعتبار هو المادة الأولى التّي يستوحيها الأديب في التعبير عن مشاعره ومواقفه، ويتجسّد هذا الواقع في حياة هذا الإنسان في بيئة معينة وفي وضعه الاجتماعي بما يطبعه من بؤس ورخاء"[2].

شكلت فترة الثمانينات والتسعينات في الجزائر مسرحًا لمجموعة من الأحداث الدامية ارتبطت بوجود الإرهاب، فهذه الفترة تعتبر أسوأ مرحلة شهدها المجتمع الجزائري من انتشار العنف والإرهاب، وكانت بدورها فترة قاسية على الأدباء والمثقفين، ومعظم كتاباتهم بمثابة ترجمة وانعكاس للواقع المر آنذاك، فظهر بعض الروائيين معلنين تمردهم على ذلك الواقع وثاروا على الوضع الاجتماعي الذّي ميّزه القتل والعنف والفساد، فهناك من الكتاب من اختار المواجهة والكتابة عن الأزمة، وهناك من اختار العودة إلى التذكير بالبطولات الثورية هروبًا من ذلك الواقع الأليم والعودة إلى التاريخ أو الذاكرة، ففي وسط هذه الأحداث لم يكن على الكاتب سوى العودة إلى التاريخ محاولًا بذلك تغيير لواقع المجتمع بطريقة ما.

[1] - عبد الله الركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، ط3، دار العربية للكتاب، ليبيا، 1977، ص17.

[2] - محمد مصايف، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1984 . ص290.

"إن المزج بين الاجتماعية والتجربة هو الذّي يخرج أدبًا واقعيًا تتوفر له شروط السمو والفعاليّة"[1]، فتأزم الوضع الاجتماعي في هذه المرحلة ولد لنا تأزم ثقافي فكان المثقف يجد نفسه وسط واقع مملوء بالتيارات المتضاربة التّي أربكته خاصة بعد أعمال العنف (أكتوبر 1988)، و عبّر عنها عمر بن قينة " مثلت الانتكاسة السياسية ثم الثقافية والفكرية والأدبية فترة انكماش ثقافي أشبه بالغيبوبة "[2].

لقد صوّر النص الروائي الواقع الجزائري الذّي تفاعل معه، فأدب المحنة كما يسمى أرّخ له العديد من الكتاب الجزائريين من بينهم الروائي بشير مفتي من خلال عدة أعمال منها "المراسم والجنائز" سنة 1988. هذه الرواية استطاعت أنّ تبلور موقف المثقف والأحداث التّي مر بها، وفي الرواية قصص عديدة كلّها تصور العنف بشتى أنواعه، وكذلك رواية "تميمون" لرشيد بوجدرة 1994 التّي ولدت من رحم الأزمة فحاولت هذّه الرواية أنّ تصور ذلك الظلام و القتامة التّي نشرها الإرهاب باعتباره حدث فرض نفسه على المجتمع في تلك الفترة، وقد ساير المشهد الروائي الجزائري الأيام الحالكة للأزمة، وهذا يظهر في رواية "سيدة المقام" لواسيني الأعرج سنة 1996 ففي هذه الرواية لم يصوّر واسيني الأعرج الجرائم الشنيعة التّي ارتكبها الإرهابيون في حق الشعب بل ركز على قضية المثقف وموقعه من الحدث.

لقد كان للعشرية السوداء أثر بالغ في تحول مسار الرواية الجزائرية، ولم يقتصر على الكتابات في تلك الفترة فقط بل حتى مع نهاية الأزمة ظّل العديد من الكتاب يؤرّخون لهذه المرحلة من خلال كتابتهم ويظهر هذا في رواية "وادي الظلام" لعبد المالك مرتاض 2005 فهذه الأخيرة عبّرت عن ذلك التمزق والشتات الذي شهدته الجزائر في فترة التسعينات.

[1]- محمد مصايف، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، ص 299.

[2]- عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، ط2 ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص42.

من خلال تتبعها لمسار الرواية الجزائرية يمكننا أنّ نجيب على السؤال المطروح سابقًا بحيث أنّ معظم المحاولات والكتابات والأعمال الفنيّة التّي ذكرناها سابقًا استطاعت أنّ تنقل لنا الواقع الاجتماعي وتصوره، فالخطاب الروائي يسعى إلى نقل الواقع وتفسيره باعتباره مرجعيةً أساسيةً له.

"فالرواية شكل أدبي اجتماعي لأن إسهامها الخاص يقرن عادة بتطورها كشكل أدبي يهدف إلى وصف الحياة وصفًا صادقًا وواقعيًا ومن المفترض تقليديًا بالروائي أنّ يكون أشد الناس اهتماما بما هو واقعي"[1].

الواقع عنصر أساسي في الفكر الروائي الجزائري، والرواية الجزائرية ارتبطت إرتباطًا وثيقاً بالتاريخ وعادت إليه متخذة الواقع مرجعية لها، فلا يمكن فهم الحاضر دون العودة إلى الماضي وهنا يتضح لنا جليًّا مدى ترابط الواقع مع التاريخ.

3)_ أبرز القضايا المطروحة في الرواية الجزائرية:

إن اهتمام الرواية بواقعها المعيش يعتبر ميزةً منذ مطلع الخمسينيات و استفحلت في التسعينيات فالكاتب الجزائري بدوره مولع بقضايا مجتمعه فما هي أهم القضايا التّي استطاع الخطاب الروائي الجزائري تجسيدها؟

3_1 العنف:

أ_ المعنى اللغوي:

العنف هو "**الخرق بالأمر وقلة الرفق به وهو ضّد الرفق، وهو الغلظة والفظاظة** "[2].

[1]- محمود سليمان، ياقوت، اللغة العربية والرؤيا والحلم، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1992، ص62.

[2]_ ابن منظور، لسان العرب، مج09، مادة(عنف)، ص257.

ب_ المعنى الاصطلاحي:

يعرّف العنف على "أنّه السلوك المشوب بالقسوة والعدوان والقهر والإكراه وهو عادةً سلوك بعيد عن التحضر والتمدن"[1]، وهو أيضًا "إلحاق الأذى والضرر بالآخرين بحيث يكون هذا العنف إمّا ماديًا أو جسديًا، أو نفسيًا أو معنويًا، بوسائل مختلفة تسبب للمتلقي آلامًا وخسائر متفاوتة"[2]. يمكن أنّ نقرب المعنى اللغوي من المعنى الاصطلاحي في كون العنف سلوك يقوم على الضرر والأذى بطرق مختلفة تؤدي إلى خسائر مرتبطة بالظاهر والباطن بمعنى الضرر الجسدي والضرر المعنوي.

ج_ العنف في الرواية الجزائرية:

إن ميلاد الرواية الجزائرية كانت تحت ظروف اجتماعية صعبة و أحداث عنيفة بدءًا من الخمسينيات وعنف الاستعمار إلى غاية التسعينيات وعنف الإرهاب، وبذلك شغل موضوع العنف مساحةً كبيرةً في العديد من الخطابات الروائية.

يعتبر العنف من أبرز القضايا التي تطرّق لها الكتّاب الجزائريون، وذلك نتيجة ظروف رهيبة ميّزت المجتمع الجزائري، فنحن إذا عدنا إلى معظم الأقلام الجزائرية نجد أنّها جسّدت ظاهرة العنف بصورة واضحة، خاصة تلك الكتابات التّي ارتبطت بزمن المحنة باعتبار هذه المرحلة من أهم المراحل التّي شهدت العنف بكل أنواعه، فانعكست تلك الصور الدامية في كتابات العديد من الأدباء و استطاعوا من خلالها تقديم تلك الصور في عمل فني روائي متميز " فمخلّفات العشرية السوداء أو المحنة الجزائرية كان لها الأثر الكبير في تحديد مواضيع الرواية حيث ولدت نمط جديد

[1]- فرج الله عبد القادر وآخرون، موسوعة علم النفس، والتحليل النفسي، الكويت، 1993، ص51.

[2]- محمد سبيلا، مدارات الحداثة، ط1، الشكلية العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2009، ص189.

من الكتابة الروائية"[1]. فكان بذلك " للحياة الاجتماعية تأثير كبير على الأعمال الأدبية و الفكرية عموما"[2].

سيطرت أزمة العنف على الإنتاج الروائي و خصوصًا في تلك الفترة، ومن بين أهم الأعمال التي عالجت العنف بصورة عميقة نجد رواية "المراسيم والجنائز" لبشير مفتي ورواية "الانزلاق" لحميد عبد القادر، فهذه الروايات فرقت في التعاطي مع ظاهرة العنف في المجتمع الجزائري ورواية "دم الغزال" لمرزاق بقطاش، فكّل هذه الكتابات نقلت لنا مجموعة من الأحداث العنيفة بصورة أدبية فنيّة.

3-2 التراث:

أ_ المعنى اللغوي: التراث اسم مشتق من مادة "ورث" ويعرفه ابن منظور في لسان العربّ "صفة لازمة من صفات الله عز وجل وهو الباقي الدائم الذّي يرث الخلائق ويبقى بعد فنائهم ويقال ورث فلانًا مالًا أرثه ورثاً و ورْثاً"[3].

كل هذه المعاني تشير إلى كل ما يتركه السابقون لشخص ما بحكم صلة معينة، وكل ما يرثه الإنسان أو يكسبه سوءًا كان إرثاً ماديا أو معنوياً. وسيتضح لنا مفهوم التراث أكثر من خلال المعنى الاصطلاحي، والذي تعددت فيه مفاهيم هذا المصطلح.

[1]- سعاد حمدون، صورة المثقف في رواية بشير مفتي، مذكرة ماجستير، جامعة ورقلة، 2010، ص18.

[2]- يوسف الأطرش، المنظور الروائي عند محمد ديب، منشورات إتحاد كتاب العرب الجزائريين، الجزائر، 2004 ص55.

[3]- ابن منظور، لسان العرب، ج2، مادة ورث، ص4224.

ب_ المعنى الاصطلاحي:

يعطينا حسن حنفي معنى واضح للتراث، فهو يرى أنّه " مجموعة التفاسير التّي يعطيها كل جيل بناءًا على متطلبات خاصةً وأن الأصول الأولى التّي صدر منها التراث يسمح لهذا التعدد لأنّ الواقع هو الأساس الذي تكونت عليه "[1].

أمّا محمد عابد الجابري يعرف التراث على أنّه "الجانب الفكري في الحضارة العربية الإسلامية، العقيدة، الشريعة، اللّغة والأدب والفن والكلام والفلسفة والتصوف"[2].

إذن فمعنى التراث عامًة يتلخص في أنّه ذلك المورث أو تلك المخلفات التّي يتركها كل جيل لأخر، و يتعدد المورث من مادي معنوي، مادي يتعلق بالأشياء الملموسة المتوارثة عبر الأجيال ومعنوي يتعلق بالجانب الفكري والثقافي.

ج_ حضور التراث في الرواية الجزائرية:

لقد ظلّت الرواية كشكل أدبي يكرس نفسه لطرح مواضيع وقضايا اجتماعية مختلفة و من بين أهم القضايا التي تطرق إليها نجد التراث، حيث يعّد توظيف التراث في الرواية الجزائرية من أبرز القضايا اللّافتة للانتباه، فكيف وظّف التراث في الرواية الجزائرية؟

[1] - حسن حنفي، التراث التجديد، موقفنا من التراث القديم، ط3، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع، بيروت، 1999، ص13.

[2] - محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، دراسات ومناقشات، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1991، ص45.

يعتبر التراث مرجعيّة هامة في الكتابات الروائية فهو يعبر عن حصيلة المعرفة والتجارب التّي تشمل العديد من الأشكال كالأدب والموسيقى والعادات والتقاليد والحرفْ، فالتماثل بين العناصر التراثية يزيد من العمل الروائي دلالةً وعمقًا، وهذا ما دفع بالعديد من الأدباء إلى التوغل في التراث من خلال أعمالهم.

" لقد بدأ الأدباء الجزائريون يتعرفون على قيمة التراث منذ زمن قريب وساعدهم ذلك على ترسيخ تجربتهم في الرواية ونشوء الوعي بالتمييز اتجاه الأعمال الأدبية الأخرى في العالم العربي، وكان ذلك بالاستفادة من قاموس التراث وتغيراته، اللّغة النثرية بدلالاتها وإيماءاتها وارتباطها بالحس الشعبي العام"[1].

لقد استثمرت الرواية الجزائرية التراث بشكل كبير، فنجد نخبة من الأدباء الذين اهتموا بالتراث مثل الروائي الطاهر وطار ورواية اللاّز وعبد الحميد بن هدوقة في رواية ريح الجنوب، وكذلك أعمال مالك حداد وأحمد رضا حوحو، وواسيني الأعرج وعبد المالك مرتاض وغيرهم.

فرواية نار ونور مثلا لعبد المالك مرتاض تصوّر لنا الحياة الريفيّة البسيطة التي جسّدتها مجموعة من العادات والتقاليد في حين كانت رواية "اللاّز" لطاهر وطار تطرح مختلف المفارقات في تاريخ الثورة الجزائرية. " فكان لتأثير التراث الشعبي على فكر الروائي أثر واضح من خلال طرح أفكاره ورسم شخصياته"[2]. كما نجد رواية "دماء ودموع" لعبد المالك مرتاض استلهمت من الأمثال والأساطير التّي تعتبر مصدر القيم الاجتماعية قالبًا فنيًا زاد من رونق الرواية.

[1]- عبد الحميد بوسماحة، الموروث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة، رسالة ماجستير، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر، 1992، ص36.

[2]- ينظر، عبد الحميد بوسماحة، الموروث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدّوقة، ص40.

إنّ التراث باعتباره هيكلاً لكل أمة يربط ماضيها بحاضرها ويمثّل هويتها، جعله موضوعًا يستحق الدراسة، فنحن "لا نستطيع معرفة دور أمة ما إلاّ بإحياء تراثها ودراسته وعرضه على الأجيال الحاضرة"[1]، ولقد جسّدت الرواية الجزائرية التراث بكّل سماته، من خلال العديد من الأعمال الفنيّة المستوحاة من الحياة الاجتماعية، ومثلت الجانب التراثي من خلال التوغّل في العديد من عناصره كالعادات والتقاليد والفنون والأمثال.

3_ 3 المثقّف:

أ_ المعنى اللغوي:

يأتي معنى المثقف في لسان العرب لابن منظور بمعنى [حذق]، ومنه، " ثقف الشيء ثقفًا وثقافًا وثقوفةً، حذقه و<<رجل حذق>> قوله <<رجل ثقف>>"[2].

" المثقفة والجمع مثقفات وهي مؤنث مثقفة، و ثقف فلان أي حصل على العلم والثقافة وتزود بفروع من المعرفة "[3].

ب_ المعنى الاصطلاحي:

لقد تعددت تعاريف المثقف اصطلاحاً من ناقد لآخر فعبد الله العروي يعرفه على أنه يعّرفه على أنّه " أولئك المنتجون في ميادين العلم، أو التدريس أو الفلسفة أو الأدب والفن الأخلاق"[4].

---

[1]- شوقي ضيف، في التراث والشعر واللغة، دار المعارف 119 كورنيش النيل، مكتبة الدراسة الأدبية للقاهرة، ص64.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، ص1988.

[3]- علي بن الحسن الهنائي، المنجد في اللغة العربية المعاصرة ، ط1، توزيع المكتبة الشرقية، 2000، ص165.

[4]- العروي عبد الله، ثقافتنا في ضوء التاريخ، ط1 دار التنوير، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص127.

أمّا محمد عابد الجابري ربط مفهوم المثقف بالمجتمع فذهب في تعريفه الى القول بأّنه " ناقد اجتماعي، أنّه الشخص الذّي همه الوحيد أنّ يحدد ويحلل ويعمل من خلال ذلك على المساهمة في تجاوز العوائق التي تقف أمام بلوغ نظام اجتماعي أفضل، نظام أكثر إنسانية وأكثر عقلانية"[1].

هذا المفهوم جعل المثقف هو الأداة التي يمكن من خلالها إصلاح المجتمع و الحفاظ على تماسكه.

أمّا عبد السلام الشاذلي فيعّرفه على أنّه " إنسان علم ومعرفة وموقف وحضاري عامة اتجاه عصره و مجتمعه"[2].

من هذه التعريفات يتلخص لنا مفهوم المثقف على أنّه ذلك الشخص المتعلم الذّي يمتلك حصيلة معرفية تمكنه من أنّ يرى ويعالج مختلف قضايا مجتمعه.

ج- صورة المثقف في الرواية الجزائرية:

لقد صاغت الرواية الجزائرية الواقع بطريقة فنيّة إبداعيّة من خلال رصدها لمختلف الأحداث والوقائع التّي عايشها المجتمع الجزائري، وبذلك يظهر لنا جليّاً الدور الفعال لأديب والمثقف في صياغة المجتمع، فهل استطاعت الرواية الجزائرية أن ترصد دور المثقف وصورته من خلال تفاعله مع قضايا مجتمعه؟

[1]- محمد عابد الجابري، المثقفون في الحضارة العربية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، ، بيروت، 2000 ص15.

[2]- عبد السلام الشاذلي، شخصية المثقف في الرواية العربية المعاصرة، ط1، دار الحداثة، بيروت، 1985 ص85.

تعتبر سنوات السبعينات هي سنوات الانطلاقة الفعلية للرواية الجزائرية، هذه الانطلاقة التي أرّخ لها العديد من الأدباء مثل:عبد الحميد بن هدّوقة و(الطاهر وطار) التّي عالجت معظم كتاباتهم الواقع الاجتماعي الجزائري آنذاك، هذا الواقع الذي أثر في المثقف باعتباره عنصرًا محركًا للمجتمع ويظهر لنا دور المثقف أكثر بروزًا في الفترة التي عصفت بالمجتمع الجزائري وذلك من خلال زمن الأزمة والمحنة في فترة التسعينات فجسّدت أعمال كل من إبراهيم سعدي(فتاوى زمن الموت) ومحمد ساري(الورم)، وبشير مفتي(المراسيم والجنائز)، " فالرواية في التسعينات هي رواية مثقف في زمن عنيف جعلت هذا المثقف يعاني مسألة الوجود في واقع فقد الاستقرار والأمن"[1]. إنّ الصراعات في هذه الفترة بين السلطة والمجتمع، ضيقت الخناق على المثقف وأرغمته على الصمت وكبت حرية التعبير لديه " وهكذا يحكم النظام قبضته على رقبة المثقف ليضيق الخناق عليه فتغيب الديمقراطية وتكبت الحريات ويتكل كل من حاول دس أنفه فيما لا يعنيه"[2]. فرواية (أرخبيل الذباب) لبشير مفتي جسّدت دور المثقف الملتزم بقضايا مجتمعه من خلال " شخصية الصحفي (مصطفي) الذي حاول دائما التقصي عن الحقيقة ونشر الوعي "[3].

لقد استطاعت الرواية الجزائرية أنّ ترصد صورة المثقف ودوره في إصلاح مجتمعه ومعالجته لمختلف القضايا التّي ارتبطت بالعديد من الأحداث خاصة زمن العشرية السوداء، فتمرد المثقف على الأوضاع التّي عايشها المجتمع، ذلك التمرد الذّي قاده في الكثير من الأحيان إلى التعرض لمختلف أنواع التعذيب والتقتيل والقهر من قبل الإرهاب " فالعنف كان من نصيب المحاميين

[1]- شريف حبيلة، الرواية والعنف دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، ط1، عالم الكتب الحديثة للنشر و التوزيع، الأردن، 2009، ص 121.

[2]- سعاد حمدون، المثقف في روايات بشير مفتي، مذكرة ماجستير، ص191.

[3]- المرجع نفسه، ص42.

والإعلاميين والمفكرين بوصفهم فئة من المثقفين الملتزمين اللّذين ناضلوا من أجل إيصال الحقيقة وهذا الأمر كلفهم أرواحهم في أغلب الأحوال"[1].

3-4- صورة المرأة في الرواية الجزائرية:

احتلت قضية المرأة نصيبًا وافرًا في الرواية الجزائرية، فهذه القضية لطالما أسالت حبر الأدباء فتلونت الكتابات في توظيف عنصر المرأة في العديد من صورها، فهناك من اتخذ صورة الأم والآخر صورة الحبيبة، وآخر صورة الأخت وغيرها من الأدوار التّي تؤديها المرأة. فكيف نقلت لنا الرواية الجزائرية صورة المرأة وكيف جسّدت معاناتها؟

لقد عالجت العديد من الروايات الجزائرية قضية المرأة، من بينها رواية**(غادة أم القرى)** لأحمد رضا حوحو والعتبة الأولى لهذه الرواية والمتمثلة في العنوان الذّي حمل اسم غادة والذّي يعني الفتاة الحسناء يوضح لنا صورة المرأة في هذه الرواية، وهذه الرواية كانت مهداة للمرأة الجزائرية ويقول كاتبها: " إلى تلك المحرومة من نعمة الحب، من نعمة العلم، من نعمة الحرية، إلى المرأة الجزائرية"[2]. الرّواية جسّدت المرأة النمطية التّي تعيش تحت سلطة العادات والتقاليد والقيم الاجتماعية محرومة من العديد من الحقوق كالتعليم والحرية.

في حين ذهب بعض الروائيين إلى توظيف المرأة الرمز ونعني بذلك تلك المرأة الثورية التّي ساندت الرجل أمثال (جميلة بوحيرد) التّي برزت شخصيتها في رواية (العشق والموت في زمن الحراشي) لطاهر وطار؛ نجد الطالبة جميلة تتكلم عن جميلة بوحيرد " ما كل جميلات الخمسينيات

[1]- سعاد عبد الله العزي، صورة المثقف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة، ط1 دار الفراشة للطباعة والنشر الكويت، 2010، ص 50.

[2]- مفقودة الصالح، المرأة في الرواية الجزائرية، ط2 منشورات جامعة بسكرة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر 2009، ص46.

لسن سوى نساء بسيطات في مجتمع بسيط حملن مهام فقمن بها حسب إمكانياتهن البسيطة"[1]. وهذه الرواية تُظهر لنا صورة أخرى للمرأة وهي المرأة المكافحة التّي تخوض البطولات.

أمّا **عبد الحميد بن هدوقة** في (ريح الجنوب)، مثلت شخصية البطلة نفيسة طبقة المرأة المثقفة التّي ثارت على أوضاع مجتمعها وواجهت العديد من الأمور التّي وقفت في وجهها " من بينها الدين الذي يتدخل حتى في الملبس، والحظ الذّي يقف ضّدها، والغيبيات، و الظروف الخارجية التّي تتحكم في مصيرها والتقاليد البدائية المقيدة لسلوكها..."[2].

ولم يقتصر توظيف عنصر المرأة في الرواية للإشارة إلى دورها فحسب بل تطرق أيضا إلى الجوانب الجماليّة المتعلقة بالجسد، ومن بين الروائيين الذّين توغلوا في وصف المرأة واسيني الأعرج في رواية" **فاجعة الليلة السابعة بعد الألف**"، رشيد بوجدرة في رواية " **فوضى الأشياء**"، ورواية "**التفكك**" وأيضا " **ليليات إمرأة أرق**"، هذه الأعمال وغيرها تفننت في وصف جسد المرأة وذكر محاسنها ومفاتنها.

أمّا الكتابات النسائية فقد اقتحمت ميدان الإبداع وجسّدت شخصية المرأة في العديد من الأعمال كرواية " **لونجة والغول**" لزهور ونيسي، **و**" **ذاكرة الجسد**" لأحلام مستغانمي.

لقد نقلت لنا الرواية الجزائرية المرأة في شتى صورها، ورصدت لنا معاناتها وصراعها مع مختلف القضايا في مجتمعنا، لذا شكلت قضية المرأة محور كتابات العديد من الروائيين.

[1]- المرجع نفسه، ص128.

[2]- مصطفى فاسي، دراسات في الرواية الجزائرية، دار القصبة للنشر، الجزائر، ص15.

3-5- الإديولوجيا والرواية الجزائرية:

لقد فرضت الكتابة الاديولوجية نفسها في الساحة الأدبية الجزائرية بشكل واضح وكبير، خاصّة في فترة السبعينيات والثمانينات، وذلك نظرًا لمجموعة من الظروف التّي عاشها المجتمع الجزائري خاصة بعد تطور الفكري والثقافي ونشوء جيل جديد كانت معظم كتاباتهم باللّغة الأجنبية وبالتالي يحمل جينات مختلفة عن جيل الثورة والاستقلال، فكيف جسّدت الأقلام الجزائرية قضية الاديولوجية؟ وكيف عالجتها وبلورت لنا الواقع من خلالها؟

" لقد تشابك الديني مع الإيديولوجي في المتن الروائي الجزائري عند العديد من الكتاب بل إنّه قد هيمن عند البعض"[1]. و"إذا عدنا إلى المتن الروائي الجزائري لوجدنا أنّ الرواية الجزائرية قد رصدت الكفاح البطولي لأبناء الشعب، متمثلًا في الثورة المسلحة، كما رصدت أيضا الصراع الإيديولوجي"[2].

إنّ الإيديولوجية التّي تحمل في طياتها الوعي الفكري والتطور الاجتماعي، أثرت بشكل كبير على الكتابات الروائية الأدبية، وتلك الكتابات كانت تعكس موقف وفكر كاتب ما، وإذا نظرنا إلى الأدب الجزائري عامة نجد أنّ الاستعمار هو أهم عامل ساهم في تطور الفكر ونمو الوعي الفردي خاصة بعد تجسيد العديد من الكتاب للقضية الجزائرية بأقلام فنيّة متأثرة بالفكر الغربي أو ما يعرف "بالجيل الجديد" أمثال مولود فرعون، فكانت كتاباتهم إنعكاس لثقافتهم فلا يمكن لأي عمل فنّي أن يخلو من بعد إيديولوجي. في المقابل شهدت كتابات باللّغة العربية ركودًا مما أفقدها إكتساب

[1]- محمد صلاح خرفي، الديني والإيديولوجي في الرواية الجزائرية المعاصرة روايات الطاهر وطار أنموذجاً، مجلة قراءات، العدد5، 2013، ص143.

[2]- محمد صلاح خرفي، الديني والإيديولوجي في الرواية الجزائرية المعاصرة روايات الطاهر وطار أنموذجاً، ص145.

خاصيات متحققة في الرواية المكتوبة باللّغة الفرنسية وقد أفرز ذلك اختلافا جوهريًا من حيث الوعي السياسي والجمالي، والإيديولوجي الذّي يجسد فكر الأديب واتجاهاته ويعكس تصوراته حول الواقع. " لذلك فإنّ أي تصور للأدب مهما بالغ في الإبتعاد عن الإديولوجيا، وأعلن إنكاره لها ومناهضتها لمفاهيمها، ينطوي سواءً أراد أو لم يرد، على بعد إيديولوجي واضح"[1]، فالأديب أهم منتج للإديولوجيا بحكم صلته الوطيدة ببيئته، فرواية الحريق مثلاً لمحمد ديب هي رواية تختزل في طياتها جذورًا واقعيةً من خلال طرحها لمسائل تتعلق بالإيديولوجيا، فبطل الرواية مراد كان رافضًا للّغة الفرنسية التّي كانت في نظره لغة المستعمر" وضمن قانون تطوره الخاص يمكنها تحمل معنًا ثورياً، كما يمكنها أن تحمل معنا رجعيًا مثل ما كان باللّغة الفرنسية بالجزائر، وهذا ليس موقفا ضد اللّغة كاللغة بقدر ما هو ضد الإيديولوجية الرأسمالية التّي زرعت بين كلمات وتراكيب هذه اللّغة"[2].

فكانت رواية الحريق رواية واقعية بامتياز جسّدت معاناة الأسر الجزائرية من ويلات المستعمر فهدف الرواية لا يتوقف عند تصوير ورصد الظواهر الاجتماعية في كل ملابساتها بل في ربطها بالخلفيات التاريخية.

لقد شهد الأدب الجزائري تحولاً في فترة الثمانينات خاصّة بعد الثورة الاشتراكية(الفكر الماركسي) والذّي تسرب إلى العالم العربي مع حركات التحرر الذّي يقوم على الإديولوجيا الجماعية. ومن بين أهم الأدباء الذّين برعت أقلامهم في بلورة أفكارهم نجد الطاهر وطار في أعماله "**اللاّز والزلزال**" واسيني الأعرج "**وقع الأحذية الخشنة**"، عبد المالك مرتاض "**ثار ونور**"، عبد الحميد بن هدوقة

[1]- بورادة محمد، تحولات مفهوم الالتزام في الأدب العربي الحديث، ط1، دار الفكر، 2003، ص15.

[2]- واسيني الأعرج، النزوع الواقعي الإنتقادي في الرواية الجزائرية، ط1، دراسة منشورات إتحاد الكتاب العرب، 1985، ص78.

"**نهاية الأمس**".فهذه الفترة شهد الإنتاج الأدبي تطورًا كبيرًا "إنّها الفترة التّي تكثف فيها الإنتاج باللّغة العربية وكان تأسيسًا سمح لنا بظهور كوكبة من الأدباء، أصبحت لهم مكانة محترمة"[1].

يعتبر الروائي الطاهر وطار رائد لكتابة الإديولوجية بإمتياز حتى أنّ هناك من النقاد أمثال عبد الفتاح عثمان صرّح بأنّ طاهر وطار " ينتصر في التيار الشيوعي وهو ينسجم مع اتجاهه الماركسي الذّي فرض على الرواية(العشق والموت في زمن الحراشي) وجعلت شخصياته تنطلق بأفكاره"[2].

فالطاهر وطار من بين الأدباء الذّين تبنوا الفكر الماركسي الشيوعي فكانت معظم كتاباته ترجمة لمختلف الآراء والأفكار التّي يؤمن بها. رواياته جسّدت الصراع الإديولوجي والسياسي بشكل واضح، فالطاهر وطار مؤسس الرواية الاديولوجية السياسية الجزائرية.

إذن يعتبر العمل الأدبي عمل انعكاسي لما هو موجود سواء في الواقع أو في تجربة الكاتب الخاصة، وفي غالب الأحيان يرتبط النص أو الإنتاج الأدبي بالعامل التاريخي الذّي يحدد انتماءه.

إذن كانت بذلك الإيديولوجية من بين أهم العناصر التّي قامت عليها وحدات الرواية الجزائرية ممّا أضفى على المتن الروائي جماليّة وفنيّة وذلك من خلال صياغة أفكار مجتمعٍ في قالب فنّي متميز.

[1]- مخلوف عامر، الرواية والتحولات في الجزائر، منشورات إتحاد الكتاب العرب دمشق، ص14-15.

[2]- محمد صالح خرفي، الديني و الإيديولوجي في الرواية العربية المعاصرة روايات الطاهر وطار أنموذجاً، ص157.

الفصل الثاني: الواقع الاجتماعي في رواية " دمية النار"

1- السيرة الذاتية للمؤلف.

2- ملخص الرّواية.

3- تمظهر القضايا الاجتماعية في الرّواية.

4- رؤية الواقع في الرّواية.

1-السيرة الذاتية للمؤلف:

بشير مفتي كاتب روائي ولد عام 1969 بالجزائر العاصمة متخرج من كلية اللّغة و الأدب العربي جامعة الجزائر. يعمل في الصحافة، حيث أشرف على ملحق "الأثر" لجريدة الجزائر نيوز لمدة ثلاث سنوات، كما يعمل بالتلفزيون الجزائري، مشرف على حصص ثقافية، مراسل من الجزائر لجريدة الحياة اللندنيّة، كاتب مقال بملحق النهار الثقافي اللبنانيّة، وبالشروق الثقافية الجزائرية وهو أحد المشرفين على منشورات الاختلاف بالجزائر.

يعّد بشير مفتي من الروائين الجزائريين المبدعين والمتألقين، فهو يشتغل على رواياته وقصصه بكثير من الحب والشعر والفلسفة الجمالية، وله من المجامع القصصية:

- أمطار الليل رابطة إبداع 1992 الجزائر.
- الظل والغياب قصص منشورات الجاحظية 1995، الجزائر.
- شتاء لكل الأزمنة قصص منشورات الاختلاف 2004.

أما من المتون الروائية فله:

- المراسيم والجنائز 1998 الجزائر، التّي استثمر فيها بعض ملامح العنف التي سادت النفسية الجزائرية أيام المحنة والدمار.
- أرخبيل الذباب التي أبدع فيها من الناحية الفنيّة والجماليّة كثيرة.
- شاهد العتمة منشورات البرزخ الجزائر 2002.
- بخور السراب منشورات الاختلاف 2004، منشورات سوريا 2005.
- أشجار القيامة طبعة مشتركة منشورات الاختلاف والدار العربية للعلوم 2006.

- خرائط لشهوة الليل طبعة مشتركة، منشورات الاختلاف والدار العربية للعلوم 2008.
- دمية النار رواية طبعة مشتركة، منشورات الاختلاف والدار العربية للعلوم 2010، وصلت إلى القامة القصيرة لجائزة البوكر دورة 2012.
- أشباح المدينة المقتولة رواية طبعة مشتركة منشورات الاختلاف وضفاف 2012.
- غرفة الذكريات رواية منشورات الاختلاف 2014.

الروايات المترجمة للفرنسية:

- المراسيم والجنائز ترجمة مرزاق قيتارة، منشورات الاختلاف 2002.

(cérémonies et funerailles)

- شاهد العتمة ترجمة نجاة خلاف منشورات عدن باريس فرنسا2002(Le Temoindes lenebres «Ed.Aden.2002.»»)
- أرخبيل الذباب ترجمة وردة حموش منشورات لوب فرنسا 2003.

l(L'archipel des mouches-Laube & barzakh.2003)

- دمية النار Le pantin de feu ترجمة لطفي نية منشورات الاختلاف.

2- ملخص الرّواية:

دمية النار رواية عربية من تأليف الكاتب الجزائري "بشير مفتي"، هي إحدى الروايات الست التي أختيرت ضمن القائمة القصيرة للمتنافسين على الجائزة العالمية للرواية العربية لعام 2012 .

لا يزال الكاتب الجزائري وفيًا لعوالمه الروائية الموغلة في الانتقاد والسودانية والطرح الحميمي لأشّد مجالات الإنسانية بؤساً...لا يزال أيضًا مصدرا على عرض مرحلة انتفاضة الثمانينات والعشريّة السوداء موضوعًا للنقاش والمساءلة، بل راح أبعد من ذلك حين راهن على قيام ثورة ثانية لتصحيح الراهن، إذ يبدو أنّ الإنزلاقات الخطيرة آنذاك أدّت إلى واقع مشوه لا يختلف عن حال السائق كثيرًا والرواية التّي نشرت قبل ربيع الثورات العربية 2010 كانت تحكي واقعًا جزائريًا بحتًا وتبنى بتغيير جذري وجديد له.

تحكي رواية دمية النار قصة لقاء يجمع بين الروائي بشير مفتي وإحدى الشخصيات الغامضة، والذي يسلمه بدوره مخطوطة رواية يحكي فيها سيرته الذاتية، يفتتحها بمقدمة يحدثنا فيها عن بدايته الأولى مع الكتابة، وعن شخصية "**رضا شاوش**" الذّي تعرف عليه في بيت عمي العربي الذّي كان يفتح بيته لمجموعة من المثقفين والمناضلين الطامحين إلى التغيير.

بعد عشر سنوات والبلاد قد خرجت من محنة الحرب الأهلية، يصله عن طريق البريد مخطوط من رضا شاوش، يحوي قصة عاشها السارد بكل أبجديتها الحارقة، مع المخطوط رسالة يطلب فيها أنّ ينشر القصة، ولا مانع أنّ ينسبها إلى نفسه: " إنها قصتي التّي عشتها وتخيلتها، إنّها ذاكرتي التّي صنعتها،وصُنعتي في نفس الوقت، وإنّني لأتمنى صادقا أنّ تكتب اسمك في أعلى صفحتها"[1]،

[1]- بشير مفتي: دمية النار، ص20.

بعد أنّ يطّلع الكاتب على المخطوط يقرر أنّ ينشره كما هو من غير زيادة أو نقصان " لأترك صوته يحكي قصته كما كتبها هو وعلى لسانه"[1].

في قصة رضا شاوش مرحلتان: ما قبل التحول وما بعد التحول:

أولا: ما قبل التحول:

يحكي رضا شاوش عن طفولته في بلكور، عن ذكرياته العائلية علاقته بأبيه (مدير السجن) الذي حوّل البيت إلى سجن آخر، خدم النظام بتفانٍ وإخلاص، ويحكي عن علاقته بعمي العربي الصيدلي المعارض الذّي يضطر إلى أنّ يحترف إسكافيا بعدما صادر نظام بومدين صيدليته يقول عن شدة تأثره به: " كان عمي العربي هو معلمي السياسي وأبي الروحي ، في تلك البدايات الأولي كنت أصغي إليه كمرشد حقيقي"[2]، ومع ذلك لم ينفع كل هذا التأثر بعمي العربي لاحقًا في ثني "**رضا شاوش**" عن الاختيار الأسوأ، حين وجد نفسه في مفترق الطريق فاختار الانضمام إلى جماعة النظام التّي خدمها أبوه بكل طاعة ،وعارضها عمي العربي بكل شراسة.

الشخصية الأخرى التّي ساهمت في تشكيل وجدانه وتوجيهه هي معلمة العربية التّي كانت تزوده الكتب لمطالعتها، وتزرع فيه روح الحداثة والعلمانية" لقد كانت تلك المعلمة...خير من أعانني على خوض تجربة بشكل آخر ومختلف"[3]، وحين يحدّثها عن جماعة المناضلين اليساريين السريّين اللّذين يجتمعون عند عمي العربي، رغم هذه المؤشرات التّي كانت تدل على أنّ "**رضا شاوش**" سينخرط في درب النضال ضّد الدكتاتورية والظلم والفساد وتكريس روحه وفكره للتغيير، إلاّ أننّا

[1]- المصدر نفسه، ص21.

[2]- المصدر نفسه، ص37.

[3]- المصدر نفسه، ص40.

نجده يتردد في الانضمام إلى جماعة مناضلين اليساريين، " أذكر أنني كنت أعود إلى البيت من تلك التجمعات و أنا مبلل الخاطر متمزق الروح"[1] .

وحين يطلع عمي العربي على تردده يسمح له بالابتعاد عنهم، وهكذا يغادر رضا شاوش الجماعة ليدخل دروبًا من التيه والضياع " تركتهم وخرجت لنفسي عاريًا باحثًا عن وجوه أخرى للحياة"[2].

ثانيا: ما بعد التحوّل:

يبدأ التحول الجذري في حياة "**رضا شاوش**"، حين يعرض عليه زميله في الطفولة "**سعيد بن عزوز**" وهو محقق شرطة ينظم إليهم في خدمة جماعة النظام، ثمّ يعرفه ببعض الرجال النافذين في النظام بأحد المطاعم الفاخرة في حيدرة " الرجال الذّين قابلتهم منذ قليل هم مفتاح خلاصك والخلاص من سلسلة الحديد التي تربطنا بالبؤساء والتعساء"[3].

يستقبله هؤلاء الرجال بالترحاب باعتباره ابن رجل خدم النظام بإخلاص منقطع النظير في وظيفة مدير سجنٍ، ويخيرونه إمّا أنّ يكون رجل النظام وإمّا أنّ يكون عدوًا لهم. بعد ليلة من التفكير يقرر أنّ يكون واحدًا من خدم النظام، أداةً في يد الجماعة النافذة يقول في صيغة اعتراف: " صرت الشّر و دمية الشّر، صرت الشيطان ودمية الشيطان، صرت تلك النار اللاهبة، والمستعمرة، النار الحارقة والمسعورة، صرت مثل دمية النار تحرق من يمسكها"[4].

---

[1]- بشير مفتي، دمية النار، ص41.

[2]- المصدر نفسه، ص42.

[3]- المصدر نفسه، ص102.

[4]- المصدر نفسه، ص119.

دمية النار من هذا السياق أخذت الرواية عنوانها، وهكذا يجد نفسه يسلك نفس الطريق الذّي سار فيه والده، الطريق الذّي طالما عارضه وانتقده عليه ووعد نفسه لسده " صرت أبي بشكل لا واعٍ"[1].

يمضي في طريق حافل بالشر والدسائس رجال قساة لا أسماء لهم وإنمّا صفات وألقاب لا غير " الرجل السمين، والرجل ذو النظارات السوداء".

حين نحاول البحث عن مبرر لسلوكه، هذا الطريق الذّي يتعارض وقناعاته وهو يقر بذلك: " كنت أعيش ضّد قناعات أبي والآن أنا أعيش وفق قناعاته"[2].

لا نجد في الرواية مبررًا مقنعاً لهذا السلوك إلا فشله في تجربة الحب مع "رانية" التّي فضلت الارتباط بغيره يقول متحسرًا: " ها أنا في الخمسين تنعمت بكل شيء إلا بالحب "[3] .

تنتهي الرواية بفقرة تبرز بوضوح دلالة العنوان(دمية النار) يقول مخاطبًا ابنه الذّي ولد له سفاحًا من رانية "عدنان" الذّي التحق بالجماعة المسلحة بالجبل يقول له محاولاً النزول" كلّنا دمى تتحرك لغايات وأغراض محددة وعندما تنتهي مدّة عملها أو تهرأ أدواتها سرعان ما تستبدل بدمية أخرى"[4].

لنفهم أنّه دمية أخرى مثلما كان أبوه وجده مجرد دميتين.

---

[1]- بشير مفتي، دمية النار، ص122.

[2]- المصدر نفسه، ص129.

[3]- المصدر نفسه، ص155.

[4]- المصدر نفسه، ص164.

3- تمظهر القضايا الاجتماعية في رواية دمية النار:

تعّد الرواية القالب الذّي تصب فيه جل القضايا التّي شغلت اهتمام المجتمع، ورواية دمية النار هي النموذج الذّي مثّل الواقع الجزائري إبان فترة الأزمّة بكل اضطراباته وصراعاته، فرسمت بذلك الرواية صور معاناة المجتمع بكل فئاته ،ورصدت بذلك صورة كل من المثقف الذّي حاول جاهدًا أنّ يثور على واقعه ويحدث التغيير. وكذلك صورة المرأة الخاضعة لسلطة العادات والتقاليد، وأهم قضية جسّدتها الرواية هي قضية العنف والصراع الإديولوجي، وللهروب من كل هذا لجأ الروائي إلى التراث كحل بديل للفرار من الواقع.

3-1 العنف:

رواية دمية النار من بين الروايات الجزائرية التّي تجسّد فيها العنف بصورة واضحة ملفتة للنظر حيث جاءت عاكسةً للأوضاع التّي مرّت بها الجزائر في زمن فترة ما بعد الاستقلال، وسنحاول في هذا الحيز أنّ نكتشف أهم تجليات العنف في الرّواية.

أ) -الزمن:

يعتبر الزمن من بين أهم العناصر التي من خلالها تتشكل الرّواية، إذ يمكن أنّ تحكى قصته دون تحديد للمكان، ولكن ليس من الممكن عرض قصة منفصلة عن الزمن، بل يجب أنّ ترتبط بزمن معين قد يكون في الماضي أو الحاضر، أو المستقبل والذّي يمكن للكاتب عرضه بطريقة صّحيحة ومباشرة أو من خلال قرائن دالة مساعدة على معرفة الزمن الذّي تدور فيه أحداث الرواية،

فهي بدون شك تعمل على التقاط الزمن وتشخيصه كونه " **كالنّص نفسه يمكن القبض عليه في تمفصلاته الكبرى وتحديد الأنساق التّي يندرج فيها**"[1].

إنّ الهدف الذّي نرجو الوصول إليه من خلال دراستنا لهذا العنصر هو إبراز دلالة العنف في الرواية، حيث ينطلق هذا العمل الروائي من هذه الأزمنة التّي يعيشها الإنسان وتشكل وجوده من خلال حدث أو قصة معينة، حيث نجد الكثير من الروائيين ينطلقون في أعمالهم للعودة إلى الخلفيات التاريخية في فترة زمنية معينة، وتكون العنصر الأساسي في الرواية.

تنطلق رواية دمية النار من أحداث تاريخية واقعيّة ومأساويّة، وقد إستنتجنا من خلال قراءتنا للرواية أنّ هناك أحداثاً ورموزاً دالةً وواضحة تشير إلى الزمن التاريخي الذّي وردت فيه، حيث شهدت الرواية مجموعة من التحولات التّي مست المجتمع الجزائري، ولقد طرحت الرواية العديد من أحداث العنف والهلاك والدمار، التّي ميزّت الشعب الجزائري والتّي سندرجها بالزمن الذّي وقعت فيه من خلال الجدول التالي:

الزمن	بعض أحداث العنف الواردة في الرّواية
زمن هذه الأحداث هو زمن السبعينيّات إلى غاية الثمانينيّات حيث ميزته أعواماً من الأزمة	" **الخوف من الضرب كان أكبر وساوسي بعدما رسخت صورة ضربه لأمّي، ضربه الذّي جعلها طريحة الفراش لأسبوع بأكمله...**" ص27.
	" **مات أبي منتحراً وهو في الرابعة والخمسين**" ص28.
	" **كانت السبعينات تعني لي الكثير من الأشياء، والكثير من الأوهام والكثير من المخاوف... تلك الفترة الحالمة والجارحة للإسكافي**" ص36.

[1]- سعيد يقطين: إنفتاح النص الروائي، (النص والسياق)، ط1، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب 1989، ص112.

تعّد الفترة التّي تم اختيارها زمنًا للرواية، عاكسة للواقع الاجتماعي الذّي مرّ به الشعب الجزائري في تلك الفترة والتّي شهدت فيها الجزائر صورة العنف بعدّة أشكال، كالتعذيب والاغتيالات والاغتصاب والهدم والتخريب.

ب) -**المكان**:

هو ذلك الحيز أو الإطار الذّي تجري فيه الأحداث المحكية داخل النص الروائي " **إنّه الفضاء الذّي يتحرك فيه الأبطال أو يفترض أنّهم يتحركون فيه** "[1]. كان الهدف من التطرق إلى المكان هو إبراز ظاهرة العنف ودلالته في رواية دمية النار، وسنشرع في تحديد الأمكنة الواردة في الرواية.

1- **البيت**:

يعتبر البيت من أهم الأمكنة البارزة في الرواية، التي تدل على العنف، إذ أصبح يثير هاجس القلق والحزن المستمر، فبطل الرّواية " رضا شاوش" كانت تتجسد أمامه تلك الصورة المأساوية المتمثلة في تعنيف والده لأمه؛ ذلك المشهد الذّي تكرر أمامه العديد من المرات.

2- **الشارع**:

أخذ هو الآخر حيزًا كبيرًا في متن الرواية، حيث يشبه المدينة في حركيته الدائمة؛ فوردت في الرواية مجموعة من الشوارع التّي كانت تثير الخوف والذعر مثل " **حي بالوزداد، حي شوفاليه، شارع باستور، والأحياء الشعبية** " كل هذه الأمكنة شهدت أحداث عنف مأساوية وعدم الاستقرار في تلك الفترة نتيجة الصراع بين السلطة والمجتمع، فالشارع في دمية النار يمثل ذلك الحيّز الذّي كان يلجأ إليه رضا شاوش من أجل حل لغز والده.

[1]- حميد لحميداني: بنية النص السّردي من منظور النّقد الأدبي، ط1، المركز الثقافي الإسلامي، دار البيضاء،1991، ص55.

3- السجن:

يعتبر السجن ذلك المكان المغلق الذّي ينعدم فيه الاستقرار ويحبس فيه الأشخاص وينعزلون عن العالم الخارجي، وتكثر فيه المخاوف وتنعدم فيه الإنسانية، وقد صوّره الروائي بأبشع صورة يمكن أنّ يتخيلها القارئ، والذّي أطلق عليه بطل الرواية رضا شاوش بمؤسسة العقاب " التّي كان يديرها والده.

ويمكننا أن نلخص هذه الأمكنة في الجدول الآتي:

المكان	دلالته	النص المقتبس من الرواية
البيت	الخوف، الضرب، المأساة، الألم، الحزن الصراخ، البكاء	" **لا أتذكر طفولتي جيداً، بعض الومضات الخاطفة فقط، بعض اللّحظات التّي تعود عودة أليمة...مثلما رأيت أبي يضرب أمّي ضرباً عنيفًا وهو يصرخ بهذيان وجهها**" ص25. "**...يقذّفها بالنعل فيصيب وجهها أو صدرها أو كتفها، ومرة يصيب بطنها فتكاد تسقط لهول تلك القذفة الجبارة** " ص27.

الشارع	الشجار، السرقة، القلق، الموت، القتل	**" كنت أرغب في الابتعاد أكبر قدر ممكن عن كل ما يربطني... بالمدينة التّي ولدت بها، وكبرت داخل أقفاصها المغلقة، مدينة أحلامي وسجن أمالي"** ص66. **" خرجت إلى شارع ديدوش مراد...بقيت أتأمل الوجوه التّي تعبر أمامي...لقد كانت الوحوش الضاربة تتعارك كالعادة على أبسط الأشياء من أجل أنّ تعيش..."** ص95. **" كنت أحب زيارة" حي حيدرة" كان حيًا نظيفًا جدًا وصامتًا ومختلف عن الأحياء الشعبية التّي نسكن فيها، التّي كان أهم سيماتها الضجيج والفوضى والإزدحام"** ص97. **"كانو يشعرون بنقمة الشارع وغضب المجتمع وظروفه المزرية...وأحيانا يتحججون بسبٍّ وشتم على هؤلاء الكلاب التّي لا تشبع..."** ص97

السجن	القهر، الإهانة، التعذيب، الشتم، الذّل.	" **قيل لي أنّه تعذب على يد والدك أكثر من مرة ونجا من الموت بأعجوبة وإنّ جسده منهك ومحروق** " ص38. " **أنت تعرف أنّه يوجد في السجن وحوش وقتلة ومرضى، وظلم ومعارك طاحنة وعذاب لا يوصف...**" ص81. " **السجن هو أنّ تعيش بين الحياة والموت في كل ثانية من عمرك**" ص79.

يعّد المكان في رواية دمية النار فضاءً اشتملت فيه أنواع العنف بصورة مختلفة كالقهر و الاستلاب و الشجار حيث كان يزرع الخوف والهلع والقلق وسط السكان.

3-2- المرأة في الرواية:

يعّد دور المرأة في الرواية كبيرًا جدًا وذا أثرٍ بالغ الوضوح، كما أنّه دور حساس جدًا، فقد شغلت المرأة أدوارًا مهمة وكانت فاعلة ونشيطة، سواء في أمور البيت ومجال التعليم أو القوانين والسياسات وفي تسيير حركة الحياة، فالمرأة هي الخليّة الأساسيّة في المجتمع والمؤسسات التربوية وفي المعامل وجّل الأنشطة، وقد تجسّدت قضية المرأة في الرواية بعدّة شخصيات، حيث نجد في الرواية:

1- شخصية الأم:

الأم هي المدرسة التّي يعتمد عليها المجتمع في تربية وإنشاء الأجيال المختلفة، فهي المربيّة والمعلمة، والمحافظة والصبورة على المتاعب والمحن، وهي المتمسكة في بيتها وحماية أبنائها مهما كانت الظروف المحيطة بها قاسية، وهذه هي الصورة التّي وضعها الروائي لأم رضا شاوش، فخُلق له أم حنون تعوضه عن الذّي يفتقده عند والده.

حيث نجد شخصية أم رضا شاوش: تزوجت عن عمر لا يتجاوز الرابعة عشر خلفت إحدى عشر طفلا، من بينهم ستة ذكور وخمسة إناث، حنونة مع أولادها، ماكثة في البيت، كانت تحمل في كيانها متاعب وصورة مأساوية خاصة في معاناتها من قسوة زوجها " اكتفيت حينها بحنان أمّي الرقيق وما كانت تفعله لأجل حمايتنا نفسياً من قهر زوجها الغليظ"[1] .

وصرّح في موضع آخر: " كانت تواسيني كما لو أنّها تعلم مصابي الداخلي وتترجاني أنّ أفكر في عاقبتي الأخيرة...أتركها تنصحني كما تريد، تلك عادةً أمهاتنا الجميلات أنّ ينصحنا دائما بالخير.."[2]

كانت تزور المقبرة مع نساء حيّها وتصطحب ابنها رضا الذّي لا يتعدى السنة الخامسة من عمره، حيث أن التقاليد هي التّي تفرض عليها ألاّ تخرج من بيتها إلاّ بصحبة رجل " كنت أذهب مع أمي للجبانة القريبة من منزلنا...كان أبي يشترط عليها أنّ تأخذ معها ذكرًا ما من

[1]- بشير مفتي: دمية النار، ص26.

[2]- المصدر نفسه، ص56.

أبنائها عندما تخرج كانت تلك هي القاعدة، فالمرأة لا يصح لها أنّ تخرج لوحدها وعلى الطفل أن يثبت بما لا يدع أي مجال للريبة أنّها متزوجة "[1].

بعد موت زوجها حزنت أشد الحزن، وارتدت الحجاب الأبيض وكانت تقرأ القرآن باستمرار " بكت أمي كثيرًا يومها، بكت كما لم أرها تبكي في حياتها قط "[2]. بعثها رضا شاوش للحج عدّة مرات كانت أمنيتها الوحيدة قبل وفاتها أن ترى ابنها رضا متزوج فلم يحقق لها أمنيتها.

أم البطل كانت الملجأ الوحيد له، حيث يتدفأ بحنانها وعطفها ويكتفي بذلك في طفولته فعلاقة البطل بأمّه قوية، وصادقة حتّى في كبره كانت تفهمه ولا تمارس عليه الضغوط وتسعى دائما لنجاحه، وهو سعادتها لهذا نجدها تنصحه بضرورة الاستقرار في الحياة.

لقد صور مفتي بشير صورة المرأة المناضلة والتّي تضحي بكل شيء من أجل الحفاظ على بيتها، وهذه هي الميزة التّي تميّز المرأة الجزائرية خاصةً والعربية عامةً.

2- شخصية سعيدة:

جارة رضا شاوش تعمل خياطة في منزلها لديها سبعة أولاد زوجها مقران توفي خلال الثورة، وهي التّي تعين أولادها "جارتنا سعيدة كانت تعمل خياطة في بيتها معتمدة على نفسها في تربية أولادها السبع، بعد وفاة زوجها خلال الثورة"[3].

---

[1]- بشير مفتي:دمية النار، ص28.

[2]- المصدر نفسه، ص28.

[3]- المصدر نفسه، ص26.

3- شخصية المعلمة:

تجسّدت شخصية المعلمة في الرواية في أجمل صورة، حيث كانت ودودة لا تستعمل العنف أثناء تأدية وظيفتها فهي تلك المرأة التّي كانت تصنع جيلاً يغرس فيه ما ينفعه في حياته وينفع به أمته فكان دور المعلمة يعتبر دوراً إنسانيًا وكانت تتحلى بعدّة صفات حميدة، " كانت معلمة العربية إمراة ودودة للغاية، وتتكلم كما لو أنّها نبيّة أرسلت لإخراجنا من الظلمات إلى النور، على عكس المعلمين الآخرين، ولم تكن تستعمل العنف قط"[1].

" فكانت تعيرني من مكتبتها قصص طويلة...كنت أستفيد منها بشكل رائع...كنت أتمنى سرًا لو كانت معلمتي هي أمّي بالفعل، تحسن الحديث بلغة جميلة ، وتجعلني أؤمن بأشياء كثيرة"[2].

طردت من المدرسة بسبب مؤامرة حيكت لها من طرف المدير الذّي حاول التحرش بها ولم يفلح وكذا زميلها الذّي انتقدها في لباسها، اتهموها بنشر أفكار تهدد نظام الأسرة ومستقبل الأطفال، ثم انتقلت للعمل وتركت المدرسة قائلة لا أستطيع العيش مع هؤلاء الكلاب.

كانت قريبة جداً من رضا شاوش وتحبه لأنّها رأت فيه حب الأدب والفن، لذا صارت توليه اهتماما زائدًا عن بقية زملائه " لاحظت شغفي بالقراءة فكانت تعيرني من مكتبتها قصصًا...وكانت تمدح حبي للقراءة مدحًا خاصا، وأحيانا تعطيني حلويات ونقودًا من أجل تشجيعي أكثر"[3] .

---

[1]- بشير مفتي، دمية النار ، ص29.

[2]- المصدر نفسه، ص30.

[3]- المصدر نفسه، ص29.

كانت معلمة العربية هي محور كلام رضا شاوش بعد خروجه من المدرسة وعودته للبيت، حيث يحدث أمّه عنها، لكن أمّه حذرته منها لا لسبب إلاّ لأنّها متحررة في ملبسها، لكن البطل لم يقتنع حينها، وراح يلعن تلك التقاليد التّي تزور حقيقة الناس، وتلك الأحكام التّي تغلطهم.

وتمثل شخصية المعلمة أحد الشخصيات التّي تأثر بها بطل الرواية رضا شاوش، فرغم هامشيتها إلاّ أنّها تركت في نفسيته أثارًا طيبة، فالروائي وظّف مثل هذه الشخصية من أجل إبراز بعض الحقائق المتعلقة بخلفيات الناس ومعتقداتهم، فالصورة التّي رسمتها المعلمة في ذهن من حولها خاصة أمّ رضا شاوش من خلال مظهرها كانت صورة سلبية عكست تفكير المعلمة المتحررة الذّي يتعارض مع خلفيات المجتمع الجزائري المحافظ، بالرغم من الدور الذّي لعبته من خلال محاولتها تربية جيل مثقف يدرك ما يريد ويسعى إلى تحقيقه.

4- شخصية الحبيبة(رانية مسعودي):

رانية هي الأخرى التّي ظهرت في متن الرواية كما ظهرت في أكبر المواقف، حيث أن الروائي لم ينسى ذاته وحبه الذّي منحه لرانية التّي أصبحت جزءه الآخر الذّي يبحث عنه.

رانية مسعودي ذات الشعر الطويل تملك عينان براقتان، هي جارة رضا شاوش تكبره بثلاث سنوات كانت تربطهم علاقة حين كانا صغيران، فهي تتمتع بجمال يجذب لها الأنظار أينما حلّت في البداية عاشت حياة مستقرة، قبل أن يشي بها بطل الرواية رضا شاوش إلى أخيها عن علاقتها مع رجل كان يقابلها في الحي، ذلك الرّجل الذّي كان سبب رفضها لرضا شاوش، " إن هناك

شخصًا يريد الزواج مني شخصًا كنت أحبّه منذ المراهقة، إنّه حبي الحقيقي (...) وتفهم أننّا عندما نحب لا يمكننا أنّ نعيش دون حب"[1].

رغم كل هذا إلا أنّ البطل رضا شاوش مزال يعيش حالة حب ، لم ينسى رانية، فصورة رانية في قناعته تمثل الحب والجنون فقد كان يراقبها ويحاول الاقتراب منها لكن رانية لم تبادله نفس الحب والاهتمام إلّا أنّها كانت تحكي له كل تفاصيل حياتها وعن الشخص الذي أحبته، حيث اعتبر رضا شاوش علاقة رانية بذلك الشاب خيانة وخدش في كبريائه، وهدماً لرومانسيته، واقتنع أن لا أحد يحق له الاقتراب من رانية " لا أدري ما هو الحب؟، بقيت دائمًا عاجزاً عن تحديده...لقد كنت أقدّسه ولكن لم أكن أؤمن به؟، لكن صورة رانية كانت هي مختصر الحب وجنونه المتوحش"[2].

إنّ المرأة في رواية دمية النار تجسّدت بعدّة شخصيات وظهرت في عدّة مواقف، فالصورة العامة عن المرأة في المدونة تمثلت في تلك الشخصية المحافظة على التقاليد أو ما تسمى بالشخصية النمطية التّي تخضع لسلطة المجتمع ومعتقداته ، ويظهر هذا في الرواية من خلال قول الروائي: " فالمرأة لا يصح لها الخروج لوحدها...ولم يكن بمقدوري وأنا ابن الخامسة حمايتها طبعاً، لكن كانت تلك تقاليد أبناء مدينتنا"[3]. فهذه العبارة تظهر لنا بأنّ المرأة في المجتمع الجزائري هي امرأة محافظة، ولا يمكنها الخروج عن سلطة المجتمع والتشريع ولا يمكن أنّ نغض الطرف عن إسهامها في تربيّة الأجيال.

[1]- بشير مفتي: دمية النار، ص75.

[2]- المصدر نفسه، ص43.

[3]- المصدر نفسه، ص26.

3- صورة المثقف في دمية النار:

يعّد بشير مفتي من بين الروائيين العرب الذّين عرفوا بكتاباتهم عن المثقف وارتباطه بالمجتمع وروايته دمية النار إحدى الروايات التّي عكست حالة المثقف الجزائري، هذه الأخيرة التّي ارتبطت ارتباطا وثيقًا لأحداث العنف التّي تخللت تلك الفترة(فترة الثمانينات)، فحاول المثقف الجزائري أن يرصد تلك الأحداث من خلال كتاباته، فدمية النار ما هي إلاّ صورة مصغرة عن العديد من الكتابات والمؤلفات التّي صوّرت لنا معانات المثقف الجزائري، والتّي سنأتي على ذكرها مع التّطرق إلى أبرز الشخصيات المثقفة وصفاتها.

بشير مفتي: صاحب الرواية يسرد لنا أحداث الرواية بمنطلق سير ذاتي وذلك حين ما التقى مع بطل الرواية رضا شاوش الذّي سلم له مخطوط يسرد فيه حياته المتموجة تارةً بسيطة وتارةً معقدة.

رضا شاوش: بطل الرواية نشأ في حضن عائلة متوسطة كان متفوق في دراسته وشغوف بقراءة الكتب والمطالعة، خاصةً عندما لقيّ التشجيع من قبل معلمته ، فاجتهاده كلّه كان بدافع كسب ثقة والده "...ولعلي ما كابدت مشاقة التعلم سنواتها إلاّ تحت تأثير جملته تلك أن يثق في والده"[1]. ولكنه لم يواصل تعليمه بسبب وفاة والده وما تلاه من ظروف صعبة جعلته يبتعد عن القراءة والكتب ويخوض غمار تجربته لمواجهة تلك الظروف.

عدنان: صديق رضا شاوش منذ الطفولة عاش حياة تعيسة فثار على واقعه من خلال إصراره على التعلم والتفوق، " كان عدنان ماركسيا كما يقول في نفسه ماركسي فرداني يؤمن بفرديته كثيرا.."[2] شغل منصب أستاذ في الجامعة، ثمّ ترك الجزائر وسافر إلى فينا واستقر هناك.

---

[1]- بشير مفتي: دمية النار، ص26.

[2]- المصدر نفسه، ص45.

- **سعيد بن عزوز**: شخص ذكي كان زميل رضا شاوش في الدراسة، تحصل على شهادة البكالوريا، التحق بسلك الشرطة وأصبح محققًا بمركز شرطة بالوزداد. كان يكره رضا شاوش بسبب تفوقه في الدراسة، وكان حاقدًا عليه بسبب موت والده على يد والد رضا شاوش فعمل سعيد بن عزوز على التأثر لوالده "...أشفق على سعيد بن عزوز لقد حرّمه والدي من نعيم والده"[1].

- **معلمة العربية**: كانت قريبة جدًا من رضا شاوش، فاهتمت به ورأت فيه حب القراءة والأدب فكانت تحضر له الكتب "...لاحظت شغفي بالقراءة فكانت تعيرني من مكتبتها قصص طويلة "[2].

- **هواري بومدين**: رئيس الدولة الجزائرية في فترة الثمانينات، شخصية سياسية " ذلك العسكري الذي أراد تغيير وجه الجزائر وحلم بلاد أكبر من حجمها الحقيقي"[3].

في الرواية قصص عديدة تصور لنا المثقف والظروف التّي جسّدت معاناته بدءًا من بطل الرواية التّي كانت حياته معقدة، وحاول منذ بدايتها حل لغز والده وفهم شخصيته ، فتلقى بذلك العديد من الصدمات حول أعمال والده وما كان يفعله مع السجناء خاصةً ما فعله مع والد رفيقه سعيد بن عزوز، هذا الأخير الذّي تمحورت قصته في الرواية حول محاولة انتقامه من رضا شاوش لما ألحق به والده من ضرر بسبب تعذيب والده وقتله، وتعرض لنا الرواية العديد من قصص الخوف والقلق والمآسي التّي تعرض لها المثقف الجزائري وأيضًا وصف لنا حالة المثقف الموجود بين نار السّلطة ونار الواقع، فرواية دمية النار تناولت عدّة قضايا أهمها: قضية الهوية، فكان بطل الرواية رضا شاوش دائم التساؤل في هويته، فصورت لنا بذلك الرواية أزمة المثقف بكل جوانبها وتفاصيلها.

---

[1]- بشير مفتي، دمية النار، ص52.

[2]- المصدر نفسه، ص29.

[3]- المصدر نفسه، ص31.

4- الإديولوجيا:

يّعد البعد الإيديولوجي ظاهرة ملفتة للانتباه في الكتابة الروائية الجزائرية خاصةً في فترة السبعينيّات وما ميزّها من صراعات سواء حول السلطة ، أو من أجل إثبات الهوية. فحاول الروائي بشير مفتي من خلال روايته دمية النار أنّ يجسّد لنا صورة ذلك الصراع و ما خلفه من فجوة في المجتمع، خاصة أنّه تخلل فترة حساسة من تاريخ الجزائر، عرفت بفترة الأزمة "العشرية السوداء ". بعد الاستقلال مباشرة أخذ الفكر الماركسي يتسرب إلى العقول، وانعكس هذا في مختلف الكتابات لتعبر بذلك عن واقع جديد " كان عدنان ماركسيًا كما يقول عن نفسه، ماركسي فرداني، يؤمن بفردانيته كثيرًا، وكان يميل لأفكار "الصراع الطبقي "، ويؤمن بأننّا مجتمعات بحاجة لفكر مادي جدلي، يحررنا من كل الغيبيات ... بنظرة عقيمة لا تتجدد للحياة "[1]. فعدنان صديق رضا شاوش بطل الرواية كان له توجه ماركسي يؤمن بفردانيته، منعزل عن مسماه ب " استبدادية العائلة "متشبع بثقافة غربية نتيجة قراءته لكتابات **هنري لوفيفر** و **ألتوسير**، وكنتيجة لذلك الإيمان قرر أنّ يهاجر إلى بلجيكا.

كم جسّدت الرواية أيضًا الصراع السلطوي آنذاك أو ما وصفه بطل الرواية بالديكتاتورية، التّي أطلقها على سياسة هواري بومدين الذّي كان رئيسًا للدولة الجزائرية في تلك الفترة " أحسن ما فعله هذا الديكتاتور أنّه جعل التعليم مجاني لكافة أبناء الشعب، أنت تعرف أنني لا أكرهه لهذا السبب أكره بفردانيته في الحكم، هذا السرطان الغريب الجاثم على صدورنا منذ قرون، ويبدو أنّ الديكتاتور لم يتعلم الدرس، ولكن المتقبل سيكشف زيفه حتماً ..."[2].

[1]- بشير مفتي، دمية النار، ص46.

[2]- المصدر نفسه، ص41.

" ذلك العسكري الذّي أراد تغيير وجه الجزائر وحلم ببلاد أكثر من حجمها الحقيقي"[1]، رضا شاوش بطل الرواية كان أول الرافضين لسياسة الرئيس بومدين في حين كان والده أكثر الأشخاص ولاء له."لم يكن أبي أبلها بالتأكيد، كان رجلا يؤمن بذلك الزعيم و يصدّقه، ويدافع عنه ويعتبر نفسه جنديًا في خدمة تعاليمه، مناضلاً في جهاز سلطته، رقمًا له دور في هذا العالم الذّي يحكمه بيد من حديد ... ترقى أبي في عهد بومدين إلى مدير السجن... نظام محكم الإغلاق، مفتوح على شرفة للحلم، وشرفة للهاوية... هل سيعذبني أنا أيضًا من أجل إيمانه الكبير...بومدين"[2] فالصراع الطبقي الذّي صورته دمية النار بين مؤيد ومعارض للسلطة كان صراع خلف فجوة عميقة في المجتمع ، فظهرت عدّة اتجاهات بعضها تقبل واقعه وعايشه وآخر رفضه وواجهه، "حدثتها عن تلك الجماعة اليسارية، فلم تكن تمانع أنّ أكون منخرطا في توجه سياسي معارض، وكانت تنصحني بقراءة "أندريه مارلو "و"ريجيس دوبريه " كثيرًا، فهما الأنسب حينها لمن يريد التعرف على تجارب مماثلة في النضال الواقعي ضّد الظلم و التعاسة "[3]. حاول رضا شاوش أن يثور على واقعه الذّي كان يراه مليئاً بالظلم والاستبداد وذلك بالانخراط فتوجه معارض ولكن شعوره بالخيانة لوالده جعله يتراجع عن الفكرة. ففضل الولاء لوالده على معارضته له، " تركت الجماعة بعدها غير نادم، أو كمن خرج من حلمه ذاك مستيقظا، وأحسست بحرية أنّ أكون ما أكونه، وليس ما يراد لي أنّ أفعله، ولعل أهم ما فّك عقدتي أكثر من أي شيئا أخر، هو عدم شعوري بازدواجيتي أمام والدي، إذ كان وجودي مع تلك الجماعة يعني في ذهني شيئاً واحداً لا ثالث له، هو أنني أخونه في ظهره"[4].

[1]- بشير مفتي ، دمية النار، ص31.

[2]- المصدر نفسه، ص32.

[3]- المصدر نفسه، ص39-40.

[4]- المصدر نفسه، ص 41.

فكانت الإديولوجيا هي المخرج الوحيد للروائي من أجل التغيير، وهذا من خلال البطل الرافض للظروف و الراهن، كما كان الحال مع رضا شاوش، وبعد وفاة والده عمل على التحري في ماضي والده و البحث عن حقيقة عمله، فقرر الالتحاق بالجهاز أو المنظمة أو كما سماه "العصابة "، وهذا كان بعد وفاة الرئيس بومدين وما شاهدته الجزائر من تحولات في تلك الفترة. خاصةً بعد الانفصال الطبقي وظهور العديد من الحركات والمنظمات، فاختار البطل السير في طريق والده. خاصة وأنّ لذّة السلطة كانت تستهويه، تلك السلطة التّي جردته من العديد من الأشياء فلم يعّد رضا ذلك الشخص الذّي يجول شوارع بالوزداد في البحث عن حقيقة عمل والده، بل قرر خوض غمار تجربة والده، فتحول من مراهق وشاب له طموح و أحلام وحب المطالعة و القراءة إلى وحش يتلذذ بدماء الأبرياء و تعذيبهم " فكنت أفعل ذلك بروح ميتة، وقلب عقيم، وجسّد يرتجف، وكنت بقدر ما أمعن في تعذيب الآخرين أمعن في تعذيب نفسي...كنت أشعر بذلك الصوت المدّوي يكسر جدران العادة الأليفة للقتل اليومي"[1]، فهوس رضا شاوش بالسلطة و التحكم وفضوله في التقصي عن ماضي والده أدي به في الأخير إلى حذفه عل يد ابنه الذّي قام بقتله، ابنه الذي كان هو الأخر معارضًا له.

في الرواية أيضًا بعض الخلفيات الإيديولوجية التّي ارتبطت بتفكير المجتمع " وكانت معلمتي هي محور كلامي ...ولكن حذار منها ، فهي تشبه الأوروبيات وقد تفسد أخلاقك "[2].

فالاختلاف الإيديولوجي بين الثقافات يخلق لنا حتمًا اختلافا في الأفكار و المعتقدات، خاصة من ناحية الدين. فمعظم الفروقات الإيديولوجية كان منبعها الدين، فأمّ رضا شاوش في هذا المقطع جسّدت ذلك الفارق، فهي تحذر رضا شاوش من معلمته المتحررة التّي تؤمن بحرية المرأة في

1- بشير مفتي، دمية النار، ص150.

2- المصدر نفسه ،ص30.

المعتقد واللباس و العمل وغيرها، وهي بذلك تخالف ذهنية مجتمعنا الجزائري خاصةً وأنّ المرأة في تلك الفترة كانت مقيدة بسلطان العادات والتقاليد. أم رضا كانت ترى بأنّ التحرر الذي تؤمن به المعلمة هو تحرر مفسد للأخلاق، ذلك التحرر الذّي أدى بها إلى الطرد من المدرسة " اتهموها بتعليم التلاميذ أشياء محرمة، والتمادي في الدعوة والتحرر من سلطة العائلة ...الخ"[1]، وهذا كله يقودنا إلى انتكاسة المرأة التّي جسّدتها الرواية والتّي اقتصرت مهمتها على إنجاب الأولاد وتربيتهم كما أن المجتمع ضيق عليها الخناق من خلال مجموعة من القواعد المفروضة عليها " كانت تلك هي القاعدة، فالمرأة لا يصح لها أن تخرج لوحدها، وعلى الطفل أن يثبت بما لا يدع أي مجال للريبة أنها متزوجة. وإنّ لها رجلا، وإنّ ابنها سيحميها إن اقتضى الأمر ...لكن تلك كانت تقاليد أبناء مدينتنا حينها"[2].

وإذا تحدثنا في المعتقدات فإننّا نربطها مباشرة بالدين، باعتبار أنّ الدين يرتبط ارتباطا وثيقاً بالإيديولوجيا، وفي الرواية نال الجانب الديني حيزاً وافراً من الذكر خاصةً وأنّ الفترة التّي تؤرخ لها الرواية هي فترة شهدت قمة التعصب الديني " فكرت في الدين لم تكن لي أي علاقة بذلك، أمّي فقط من كانت تصلي في البيت وتقرأ القرآن "[3]، لم يكن رضا شاوش يعتبر الدين ركيزة أساسية في حياته مثل بقية الناس آنذاك فكان بعيدا كل البعد عنه " فكرت أن أقترح على رانية الزواج، حتى لو لم أكن مؤمنًا بذلك العقد الاجتماعي بأي شكل من الأشكال"[4] ابتعاد البطل عن الجانب الديني جعله يعاني من الفراغ الروحي الذّي لم يجد له بديلًا. في الرواية أيضا تجلّى العنصر الديني من

[1]- بشير مفتي،دمية النار ص31.

[2]- المصدر نفسه، ص 28.

[3]- المصدر نفسه، ص76

[4]- المصدر نفسه، ص74.

خلال ترديد بعض العبارات التّي تعنى بذكر الله " الحمد لله أولا وأخرا ...عندما يقرأ القرآن كانت قلوبنا تخشع وعيوننا تدمع "[1].

ثمّ راح يردد كلمات الشكر بطريقته :

" أشكر الله العلي العظيم على ذلك "

" أشكر الله القادر على كل شيئ "

" أشكر الله الهادي المنير"

" أشكر الله العظيم ...العظيم"[2].

إذن، كان لعنصر الإيديولوجيا في الرواية أثراً بالغاً في نسج أحداث الرواية وباعتبار أنّه عنصر بلور أفكار مجتمع الرواية ككل.

5- التراث:

يعتبر التراث من بين أهم العناصر التّي تضفي على المتن الروائي مسحة جماليّة وفنيّة، وذلك من خلال توظيف عدّة عناصر تراثية التّي بدورها تحمل في طياتها ثقافة مجتمع ما، ومن أهم هذه العناصر نجد العادات والتقاليد، هذه الأخيرة التّي تعبر عن مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية. فالعادة الاجتماعية هي " كل أسلوب متكرر يكتسب اجتماعيا ويتعلم اجتماعيا، ويمارس اجتماعيا

[1]- بشير مفتي، دمية النار، ص81.

[2]- المصدر نفسه، ص82.

ويتوارث اجتماعيا"[1]. أمّا التقاليد فهي "عادة مقتبسة اقتباسا رئيسياً أي من الماضي إلى الحاضر ثم من الحاضر إلى المستقبل "[2].

ومن بين أهم العادات والتقاليد التّي تحضى بكامل التقديس نجد " الزواج" ولقد تجسّدت هذه المؤسسة المقدسة التّي تربط بين المرأة والرجل في رواية "دمية النار"من خلال زواج أم رضا شاوش بوالده عندما سألها عن زواجها فراحت تسرد القصة قائلة: " طلبني من والدي، كان يأتي لقريتنا من أجل شراء الزيت لمعلمة الفرنسي، وهناك تعرف على والدي الذّي كان يملك معصرة شهيرة بأزفون، ولا أعرف من دله علينا فطلب يدي من والدي وتم قراننا في أعالي الجبل"[3]. فعقد القران هو ذلك العقد الشرعي الذّي يجمع بين المرأة ولرجل ويعطي الرسمية لتلك العلاقة الموجودة بينهما.

أمّا العنصر الثاني المتمثل في المعتقدات والتّي ترتبط ارتباطا وثيقاً بطريقة تفكير مجتمع ما. ذلك التفكير يكون في أغلب الأحيان مزيجاً و تداخلاً بين الدين وطرق المعيشة. فالمعتقدات تجمع بين أفراد المجتمع وطبقاته المعلمة والأمية، ولقد وظّف الروائي إحدى المعتقدات المنتشرة في أواسط المجتمع الجزائري ألاّ وهي زيارة الأضرحة والأولياء الصالحين "هناك حيث تتجمع النسوة كل يوم جمعة ويتبادلن الأحاديث الخاصة بهن، لم يكن يحتو لي سماعهن، ومن يطنبن في التبرك بالولي الصالح والتشفع به، وطلب المساعدة والنجاح وغير ذلك "[4]. فمن أهم المعتقدات المجتمعية أنّ التبرك بالأولياء و الأضرحة من أهم المعتقدات التّي يقوم عليها المجتمع الجزائري ويؤمن بها ويتعبد بها، خاصة في القرى والمداشر.

---

[1]- سامية حسن الساعاتي، السحر والمجتمع، دراسة بصرية وبحث ميداني، ط1، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، 1983، ص155.

[2]- عبد الحميد بوسماحة، الموروث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة، ص46.

[3]- بشير مفتي، دمية النار، ص 34.

[4]- المصدر نفسه، ص25.

فالتراث إذن من أهم القضايا التّي طرحتها الرواية باعتبار أنّ المجتمع الجزائري يختزل في طياته حضارة عريقة متوارثة عبر الأجيال بمختلف خصائصها وعناصرها.

الملاحظ من خلال دراستنا لتمظهر مختلف القضايا في الرواية، أن رواية دمية النار كانت رواية اجتماعية جسدت الواقع بامتياز، ولخصت لنا مجموعة من مختلف القضايا والخلفيات التي سادت المجتمع الجزائري وعايشته في مرحلة من مراحله، وبكل فئاته، فعبرت بذلك الرواية عن صورة المجتمع فعكست اهتماماته وتمظهراته.

فأخذت صورة العنف حيزا وافرا باعتبار أن الرواية رسمت لنا العنف بكل أشكاله من اضطهاد وخوف واللاانسانية. أما المرأة كانت لها مكانة كبيرة في متن الرواية فتقمصت مختلف الأدوار من أم ومعلمة، وحبيبة، في حين كان للمثقف الذي عانى التهميش في تلك الفترة دور بارز في إصلاح المجتمع ونشر الوعي الثقافي خاصة وأنه وجد نفسه وسط تيارات متضاربة التي عكست قضية أخرى وهي الإديولوجيا هذه الأخيرة التي كان لها نصيب من الذكر في الرواية في الوقت الذي شهدت فيه تلك الفترة مجموعة من التحولات والصراعات التي آلت إلى خلق فجوة بين السلطة والشعب من جهة وصراعات حول مختلف المعتقدات والخلفيات من جهة أخرى، فلجأ الروائي إلى توظيف التراث الذي يضم مجموعة من الأعراف والتقاليد التي تسير المجتمع.

4_ رؤية الواقع في رواية دمية النار:

يعتبر الواقع عنصر هام في المتن الروائي الجزائري، كما تعتبر الرواية أكثر القوالب الأدبية صياغة له، ولقد اهتمت الرواية الجزائرية بواقعها المعاش باعتبار الأديب الجزائري كاتب مولع بقضايا مجتمعه، ولقد ارتبطت الكتابة الروائية الجزائرية ارتباطا وثيقا بتاريخ الجزائر، فكانت معظم الأقلام تؤرخ له. وهذا ما نجده في رواية دمية النار، هذه الرواية ارتبطت كتابتها بمرحلة اضطراب مست المجتمع الجزائري وهويته، هذا الواقع الذّي سيطر فيه الصراع على السلطة بدرجة أولى "اليأس والإحباط هما اللذان جعلانا نفجر الثورة وننتصر، وهما اللّذان سيقلبان موازين الوضع اليوم، هم لا يسمعون، لم يعّد أحد يسمع، لقد أعمتهم السلطة و القوة والمال على سماع لأي شيء "[1]، حاول الأديب بشير مفتي من تصوير تلك الفترة المحرجة من تاريخ الجزائر، كما وقف على انعكاسات الظروف الاجتماعية والنفسية وساق لنا ذلك من خلال عائلة جزائرية، عائلة رضا شاوش " لم يدرس أبي بسبب الظروف التّي عاشها قبل الاستقلال"[2]، وهذا يعكس لنا الفترة التّي عاشتها الجزائر قبل الاستقلال من حالة اجتماعية رديئة من انتشار الفقر والأمية، إنّ الشخصية المحورية المتمثلة في البطل رضا شاوش ،هي شخصية عاشت صراع نفسي داخلي بسبب محاولة فهم شخصية والده الغامضة " لم أكن أحب أبي قبل مرضه النفسي، كان نادرًا ما يجلس إلى أحد منا"[3] . كانت شخصية مليئة بالغموض حول رضا شاوش فك رموزها " كان يكفيني فخراً أن لي أب يهاب منه الجميع، غير أّنه كان يخيفني أنا أيضا، ولم أكن أجد لهذا أي تفسير...ولكنني لم أستطع فّك ذلك اللّغز"[4]. كان والده يعمل في "مؤسسة العقاب" كما سماها " مدير سجن"، فكانت هناك

[1]- بشير مفتي، دمية النار، ص138.

[2]- المصدر نفسه، ص31.

[3]- المصدر نفسه، ص31.

[4]- المصدر نفسه، ص27.

العديد من التساؤلات تدور في فكر رضا شاوش عكست نضجه ووعيه رغم صغر سنه "كيف قاوم وكيف بلى نفسه؟ ما هي الأشياء التي حلم بها والأشياء التي تركها؟ كيف يتصور المستقبل؟"[1] كل هذه التساؤلات ظلّت تجول في فكر رضا شاوش حتى كبر واكتشف حقيقة والده، بعدما كان والده قد وضع حداً لحياته وشنق نفسه، كل تلك الحقائق كان لها أبعاد اجتماعية أخرى خاصةً ما ألحقه والده من ضرر بالمساجين من خلال التعذيب مثل ما فعله بوالد صديقه سعيد بن عزوز " وجدت فجاة سعيد بن عزوز كل الأعذار للحقد عليّ للتربص بي، وحتى لأخذ ثأره مني لقد فعل له والدي مالا يغتفر"[2].

وبما أنّ الوظيفة الأساسية للرواية هي معالجة الواقع الاجتماعي وتطويره وإيجاد الحلول لمختلف قضاياه، أرتئ الروائي أنّ تكون شخصية رضا شاوش هي الشخصية المحورية التّي تسرد لنا حياة المجتمع اليومية وقضياهم وهمومهم، بدءاً من بيت البطل الذّي كان بيتا محافظا على عاداته وتقاليده، وفي نفس الوقت بيت يعاني الكثير من التمزق بسبب عصبية والده التّي كانت في أغلب الأحيان تكون نهايتها تعنيف أمّه و ضربها، ثمّ قضية حبيبته رانية التّي كانت تعيش تحت سلطة أخيها الذي حرمها من الدراسة، وأجبرها على المكوث بالبيت " أعرف أنني أثقل عليك، ولكن سيخرج كريم بعد يومين، وحتما سيمنعني من العمل والدراسة، وسيأخذ كل ما ادخرته طوال هذه السنوات، وسيحاول أنّ يرغمني على المكوث في البيت"[3]. ثم ما وجده في الشارع من تقلبات وصراع. لقد مثل الروائي الحاضر بمعاناته ومحاولة لتغيير الواقع، فلا يمكن للكاتب أنّ ينسلخ عن واقعه المعاش، فالراوي هنا يختزل العناء والبؤس الشديدين اللّذين عاشتهما الأسّر الجزائرية في تلك الفترة، وكذلك التفكك وحالة الضياع الأسري والابتعاد في الفكر والقناعات بين الشباب و الشيوخ

[1]- بشير مفتي، دمية النار، ص32.

[2]- المصدر نفسه، ص74.

[3]- المصدر نفسه، ص75.

باعتبار أنّ الأجداد أو الشيوخ عايشوا الثورة وإرتوو من بؤس الاستعمار واستبداده، وشباب له طموح وأحلام يصارع الواقع من أجل تحقيقها. متجاوزا كل العقبات و الانكسارات التي واجهته" صارت لي رؤاي أنا أيضا، مفاهيمي المجردة، ومخاوفي القلقة، ومشاعري المكهربة، وطموحاتي التّي لاحدود لها، وانكساراتي الصغيرة، وجروحي التّي تكبر مع الوقت دون أمل ي الشفاء منها... جماعته الصغيرة لم تكن إلا مجموعة من الشباب الذّين يدرسون في الجامعة، طلاب حقوق وفلسفة ولغة...والحلم بالتغيير الممكن"[1].

هذه الرواية هي تجربة ذات أبعاد اجتماعية ودلالية حاولت بناء واقع سليم، فهي تحمل رمزية كبرى من خلال قدرة الروائي التعبير عن واقعه الاجتماعي والبحث عن الحلول لمختلف قضاياه. وقارئ هذه الرواية يلمس ذلك الترابط بين الشخصيات والأحداث التّي تخللت الجزائر في زمن المحنة وما ميزها من ظلم وإظطهاد ومآسي، وهذا من خلال وصف المجتمع والواقع. ورغم البؤس الذّي كان يتخبط فيه المجتمع آنذاك إلّا أنّه لم يتخلى عن مبادئه.

[1]- بشير مفتي، دمية النار، ص37.

خاتمة

وفي ختام بحثنا توصلنا إلى النتائج التالية:

- استطاعت رواية دمية النار أنّ ترصد لنا صورة الواقع الاجتماعي و السياسي و التاريخي، باعتبارها رواية صوّرت لنا الواقع وانطلقت منه في نسج أحداث الرواية، التّي عكست لنا مختلف التحولات التّي أصابت المجتمع، معبرة بذلك عن مختلف اهتماماته وجسّدت أيضاً قضاياه التي أنتجتها تلك الفترة. وما خلفتها من عنف من وظلم و تشتت.

- استعرضت لنا الرواية مجموعة من الشخصيات المثقفة التي ثارت على واقعها و حاولت إيجاد الحلول والتغيير، وشخصيات خاضعة للواقع وعايشته.

- عكست لنا الرواية الواقع ومثلته بمختلف صراعاته، خاصةً الصراع الإيديولوجي الذّي عكس أراء وأفكار الكاتب والذّي ظهر من خلال خطاب الشخصيات، وذلك باعتبار أنّ الرواية عالجت فترة حساسة مرّ بها المجتمع الجزائري.

- تعرضت "دمية النار" إلى فترة التسعينيات و رسمت بذلك صورة المرأة التّي عانت العنف والظلم من قبل الرجل و المجتمع معاً و مختلف الأعراف التّي كانت خاضعة لها.

- عكست لنا الرواية بعض الموروث الشعبي، والمتمثل في التراث الذي برز في الرواية بأشكال مختلفة تمثلت في مجموعة من العادات والتقاليد و الأعراف.

- إهتمام الراوي "ببطل الرواية" الذّي يعتبر الشخصية الأكثر تحريكاً للأحداث، والأكثر وعياً بالواقع وتقلباته.

- جسد الروائي في دمية النار عالم مبني من الحزن، والحب والصمت، والتلاعب بالمشاعر والكبت.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

-بشير مفتي، دمية النار، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر،2012.

المراجع العربية:

1-جعفر بابوش، الأدب الجزائري الجديد" التجربة والمآل، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجيا الإجتماعية والثقافية، الجزائر، 2006.

2-حسن حنفي، التراث والتجديد، موقعنا من التراث القديم، ط3، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع بيروت، 1991.

3-حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي الإسلامي، الدار البيضاء، ط1، 1991.

4- رمضان حمود-عن جعفر بابوش، الأدب الجزائري الجديد " التجربة والمآل" منشورات مركز البحث في الأنثربولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر، 2007.

5- سامية حسن الساعاتي، السحر والمجتمع، دراسة بصرية وبحث ميداني، ط2، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1983.

6- سعاد عبد الله عزّي، صورة المثقف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة، ط2 دار الفراشة للطباعة والنشر، الكويت، 2009.

7- شريف حبيلة، الرواية والعنف، دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، ط1، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2009.

8- شوقي ضيف، في التراث والشعر واللغة، دار المعارف كورنيش النيل، مكتبة الدراسة الأدبية بالقاهرة، القاهرة.

9- عبد الله الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، ط1، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1978.

10-عبد الله الركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، ط3، دار العربية للكتاب، ليبيا، 1977

11-عبد السلام الشاذلي، شخصية المثقف في الرواية العربية ،ط1 دار الحداثة بيروت 1985.

12-عبد الله العروي، ثقافتنا في ضوء التاريخ، دار التنوير،ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

13-عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية العربية،ط1 المؤسسة العربية للنشر، المركز الرئيسي ، بيروت، لبنان، 2003.

14-عبد القادر فرج الله واخرون، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، الكويت 1993.

15-عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث،ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

16-مخلوف عامر، الرواية والتحولات في الجزائر، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا.

17-محمد علي الجابري، المثقفون في الحضارة العربية، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000

18-محمد مصايف، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر.

19-محمود سليمان ياقوت، اللغة العربية و الرؤيا والحلم، دار المعرفة الجامعية، القاهرة 1992.

20-محمود عابد الجابري، التراث و الحداثة، ط2، دراسات و مناقشات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1991.

21-مصطفى فاسي، دراسات في الرواية الجزائرية، دار القصبة للنشر، 2000.

22-مفقودة الصالح، المرأة في الرواية الجزائرية، ط2، منشورات دار القصبة للنشر، 2009.

23-مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية، ط1، المؤسسة العربية للنشر، المركز الرئيسي، بيروت لبنان 2003.

24-يوسف الأطرش، المنظور الروائي عند محمد ديب، منشورات اتحاد كتاب العرب الجزائريين، الجزائر 2004.

25-واسيني الأعرج، النزوع الواقعي الإنتقادي في الرواية الجزائرية، ط1، منشورات إتحاد الكتاب العرب، 1985.

الرسائل الجامعية:

1- سعاد حمدون، صورة المثقف في رواية بشير مفتي، مذكرة ماجستير، جامعة ورقلة، 2010.

2- عبد الحميد بوسماحة، الموروث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة، رسالة ماجستير، معهد اللغات والأدب العربي، جامعة الجزائر، 1992.

المجلات والدوريات:

1- محمد صالح خرفي، الدين و الايدولوجيا في الرواية الجزائرية المعاصرة، رواية الطاهر وطار أنموذجا، مجلة قراءات، جامعة بسكرة، العدد الخامس، 2013.

المعاجم:

1- بن منظور، لسان العرب، المجلد 6، دار المعارف، ط5.

2- المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط1 توزيع المكتبة الشرقية، 2000.

3- جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية و الفرنسية و الانجليزية و اللاتينية، الشركة العالمية للكتاب، مكتبة المدرسة، دار الكتاب العالمي، بيروت، 1994.

4- محمد سبيلا، مدارات الحداثة الشكلية، ط1 العربية للأبحاث للنشر، بيروت 2009.

الكتب المترجمة:

1- ديفيد انغلير جون هيوسون، مدخل إلى سوسيولوجي الثقافة، تر: لما نصير المركز العربي للأبحاث و الدراسات السياسية.

فهرس الموضوعات

العنوان: **الصفحة**

مقدمة.....6

الفصل الأوّل: الرواية والواقع.....10

1- تحديد المصطلحات.....11

2- الرواية الجزائرية والواقع.....14

3- الرواية الجزائرية وأبرز القضايا المطروحة.....20

الفصل الثاني: الواقع الاجتماعي في " دمية النار".....34

1- السيرة الذاتية.....35

2- ملخص الرواية.....37

3- تمظهر القضايا الاجتماعية في الرواية.....41

4- رؤية الواقع في الرواية.....61

خاتمة.....66

قائمة المصادر والمراجع.....68

فهرس الموضوعات.....72